أ د. عقيل حسين عقيل

التَّـهَيّؤُ

تأليف

د عقيل حسين عقيل

2017م

المحتويات

المقدّمةُ 5

التهيؤ 10

التهيّؤ يقظة: 10

التهيّؤ في مواجهة التهيؤ: 16

مكوِّنات التهيّؤ: 24

تهيّؤ مادّي عقلي: 24

تهيّؤ مادّي نفسي: 29

تهيّؤ مادّي نفسي عقلي: 32

تهيّؤ مادّي نفسي عقلي روحي: 36

معيارية التهيّؤ: 40

معطيات التهيّؤ للفعل: 43

تقابل التهيّؤات 45

صور التهيؤ: 47

أركان التهيّؤ 68

مستويات التهيّؤ: 72

التهيؤ للحدث الخارجي: 82

تهيّؤ الأشياء: 84

أنواع التهيؤ 94
زمن التهيّؤ: 98
التهيؤ بين الأنا والآخر: 99
أسباب التهيؤ: 104
التهيّؤ لمعرفة الخالق: 105
الوعي يمكّن من التهيؤ: 119
علاقة التهيؤ بالإرادة: 124
علاقة التهيؤ بالاستعداد: 132
علاقة التهيؤ بالتأهّب: 135
التهيؤ للرّفض: 144
التهيؤ للتطرّف: 148
التهيؤ للخوف: 151
التهيؤ للإرهاب: 156
مستويات التهيّؤ 171
التهيّؤ الذاتي: 171
التهيّؤ التطلُّعي: 177
التهيّؤ الانسحابي: 183

التهيّؤ الأناني (Egoism) 191
التهيّؤ الموضوعي (Objectivity) 199
صدر للمؤلّف 209
مواضيع المؤلّفات 210
المؤلّف في سطور 221

المقدّمةُ

التهيؤ ليس نتاج تلك التخمينات العشوائية، بل هو ذلك التفكير المقصود بغاية بلوغ المأمول ثمّ نيله، وهنا فهو تهيؤ عقلي ونفسي وبدني وقلبي وروحي، به الأهداف تنجز، والأغراض تتحقّق، والغايات تُبلغ، والمأمول يتمّ نيله أو الفوز به.

جاء البحث في هذا الموضوع بعد معرفة أنّ التعريفات اللغوية التي استخدمت في المعاجم العربية، ثمّ تناقلتها الكتب واستخدمها البحاث، لم تفك اللبس بين مفهوم التهيؤ ومفاهيم أخرى وبخاصّة مفهوم التأهّب والاستعداد. وهنا قد تمّ فكّ هذا اللبس الذي كان متعلّقا بمفهوم التهيؤ ودلالته ومعناه. ومن ثمّ؛ فلن يكون أمام البحاث والمؤلّفين الذين اعتمدوا على تلك التعريفات أن لا يصحِّحوا ما كتبوا بلا مكابرة، وذلك هو البحث العلمي الذي يمكّن مِنْ كشف الحقائق وتقديمها للقراء والبحاث الذين لا يتأخّرون عن معرفة المزيد.

فالتهيؤ له من الصّور ما له، ومن الدّلالات ما له، ومن المعطيات ما له، ومن الأركان والمستويات القيمية ما له، وله من المفاهيم المتداخلة ما له. إنّه الموضوع الشيّق للبحث، وسيكون أكثر اشتياقا لمن وقع في فخ الالتباس مع مفاهيم أخرى.

التهيؤ كونه مرحلة من مراحل الوعي فهو المؤثّر (في) والمتأثّر (بي)، أي: أنّه المستفزّ لغيره من المفاهيم وذلك بما يثيره في عقول ونفوس الغير من تأملات في المثير المشاهد والملاحظ أو فيما يثار تجرّدا، وفي المقابل هو قابل لأن يثار بما هو مستفز علميا أو معرفيا من قِبل الذين سبق لهم وأن أثارهم واستفزّهم تفكيرا.

التهيؤ في دائرة الممكن قيمة متأرجحة بين متوقّع وغير متوقّع، وبين سالبٍ وموجبٍ، فإن كان التهيؤ لما يجب قيما وفضائلا فسيكون الفعل المترتب عليه موجبا، ولكن إن كان التهيؤ سالبا فسيكون الفعل المترتّب عليه سالبا.

ولأنّه التهيؤ فلا يمكن أن يبلغه الإنسان إلّا بعد انتباه لنفسه وما حوله، وبعد أن يكتشف أنّه لا مفرّ من مواجهة المحيّر سياسة أو اقتصادا أو علما أو معرفة أو قيميا أو مأمولا.

ومع أنّه التهيؤ الذي لا يُفعل شيء وبرغبة إلّا به، فإنّه لم يكن الغاية، بل الغاية من ورائه بلوغ المأمول ومن ثمّ نيله؛ فالتهيؤ عندما يكون عقليا يؤدّي إلى حُسن التدبّر، وعندما يكون نفسيا يؤدّي إلى الاطمئنان لما يجب أن يُفعل، وعندما يكون بدنيا يمكّن من التدريب والتّأهيل وحُسن المران وزيادة الإنتاج، وعندما يكون قلبيّا يُخرج صفاء

النيّة تجاه المرغوب أو المحيّر والمستفز، وعندما يكون روحيًا يرسّخ المعتقد.

ولأن التهيؤ لا يخرج عن دائرة الممكن؛ فهو في خماسي تحليل القيم بين احتمالات خمس:

الأوّل: ذاتي، وذلك وفقا لقاعدة الإنسان اجتماعي بطبعه؛ فالإنسان يولد والتهيؤ لم يولد معه، بل يكتسبه تربية وتعليما وثقافة، وهذا لا يعني أنَّ طبيعة الخلق الآدمي غير مهيأة لاستيعاب ما يمكن أن يجعلها متهيأة لمعرفة المزيد والتفكير فيما هو أكثر استزادة.

الثاني: التطلّعي، وهو المتعلّق بالأمل وبلوغ المأمول، وهو لا يكون إلّا عن وعي ودراية مع سابق الإصرار؛ فالإنسان بعد أن يتشرّب قيم المجتمع تربية وتعليما، ويتعرّف على ما يجب أن يقدم عليه وما لا يجب أن يقدم عليه وفقا لما يقرّه العرف والدّين المقرّان اجتماعيا، فهو يستطيع عن وعي أن يكتشف الموجب والسّالب اجتماعيا، ومن ثمّ يستطيع أن يتمسّك بما هو مرضٍ إيجابيا، ثمّ يستطيع أن يتخلّى عمّا هو غير مرضٍ حتى وإن أقرته الأعراف الاجتماعية التي ينتمي إليها، وهو لا يقف عند هذا الحد من الاختيار بل يتمدّد إلى الغير ليأخذ منه النافع والمفيد إيجابيا، ومن هنا تتصف شخصيّته بالتطلّعية، ولذا فمن يتهيأ تطلّعا لما يجب يتمكّن من التطلّع إليه معرفة وفعلا وعملا وسلوكا.

ثالثا: الموضوعيّة، وهي أعلى مستويات القيم الإنسانية؛ فيها الإنسان على المعايير الإنسانية خُلقا وسلوكا ومعرفة دون انحياز لغير الحقّ؛ فالإنسان مع أنّه يولد اجتماعي الطِّباع، إلا أنّه بالمعرفة الواعية يتمكّن تهيؤا من التطلّع إلى ما يشبع رغبة معرفية أو علمية أو حضارية وثقافية، وفي هذه المرحلة أو هذا المستوى القيمي تصنّف فيه شخصية المتطلّع بأنّها (ذاتية تميل إلى الموضوعية). أمّا ما بعد التطلّع للآخر الذي له من حُسن المعارف والعلوم والتقدّم التقني فهناك من يرتق إلى ما هو ممكن تقدّما ووعيا حتى يبلغ الأخذ بالمعايير الموضوعية في الحكم على الأفعال أو الأشياء، ومن هنا تتصف شخصية الآخذ بهذه المعايير بالموضوعية.

رابعا، المستوى الانسحابي، الانسحابية صفة لمن ينسحب عن القيم والفضائل والأعراف والأديان التي تشرّبها الفرد من المجتمع الذي ينتمي إليه، ومن ثمّ تصبح مجسَّدة في سلوكه، ولكن بمؤثرات سلبية يمكنه أن يتخلّى عن شيء منها (ينسحب من الالتزام بها تامّة) أي: فبعد أن كان متمسّكا بكلّ قيم المجتمع أصبح آخذا ببعضها، وهنا توصف شخصيّته بالانسحابية. فتلك المؤثرات السّلبية لو لم يكن الفرد متهيأ لها ما كانت ذات أثرٍ سالبٍ على شخصهِ.

خامسا: الأنانية، وهي التي يرى الفرد فيها نفسه وكأنّه مركز العالم بأسره في الوقت الذي لم يكن فيه إلّا على معكوس ذلك تمام،

فالإنسان إذا قبل الانسحاب من المستوى الذاتي ولم يتوقّف عند هذا الحدّ، لا شكّ أنّه سيصل إلى مستوى يجد فيه نفسه أنّه قد تخلّى عن كلّ شيء يربطه بذات المجتمع، ولا يفكّر إلّا في شخصه، فلا يمارس حقوقا ولا يؤدّي واجبا ولا يحمل مسؤولية، ولا يرى العيش إلّا اتكالية وأخذ الجاهز منه ولو كان على حساب الدين والعرف والقيم الحميدة والفضائل الخيّرة. إنّه ناقوس الخطر الذي لا يتحقّق إلّا تهيؤا.

أ د. عقيل حُسين عقيل

القاهرة 2017م

التهيؤ

التهيّؤ يقظة:

التهيؤ يقظة، هو صحوة تبحث عن منفذ يتمّ من خلاله تغيير الأحوال إلى ما يمكن أن يكون غاية أو أملا، واليقظة هي انتباه بعد غفلة، تمكّن من تنفيذ الفعل.

ولأنّ التهيؤ هو الخطوة الأولى التي تلفت الإنسان إلى نفسه متى ما غفل أو جهل، فهو متى ما كان يقظة في النفس والعقل دفع إلى إنجاز ما كان هدفا، وتحقيق ما كان غرضا، وبلوغ ما كان غاية، والفوز بما هو مأمول في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، ولكن كلّ هذه لا تتمّ إلّا بعد عُدّة تُعدّ واستعداد يُهيأ، وتأهّب يؤخذ في الحسبان.

ولأنَّ التهيّؤ يقظة بعد غفلة؛ فهو لا يكون إلّا من أجل حاجة تشبع رغبة وتُحفّز على ما يجب، وهو صّحوة العقل والفكر لما ينبغي أن يوليه اهتماما، به تتولّد الفكرة من الفكرة، والحُجّة من الحجّة، والبرهان من البرهان، إنّه منبع الأمل المولّد لقيمة التفاني في العمل والإخلاص فيه.

فالتهيّؤ يقظة بما يجب أن يتمّ الإعداد والاستعداد له قبل أن يأتي، وهو تحفُّز لإظهار الأمل المتهيئ للظهور، إنَّه الحالة التي يبدو عليها الإنسان في حالة امتداد تجاه الآخر في دائرة الممكن المتوقّع وغير

المتوقّع؛ فالتهيّؤ نضج طبيعي، ونضج معرفي بما سيأتي لأن يُفعل، كنضج الثّمار لأنْ تُجنى أو تُقطف، وكالبلوغ عند الإنسان الذي به يتهيأ للزّواج؛ وكالتهيّؤ للصّلاة والصّيام قبل أن يأتي موعدهما؛ فالتهيّؤ لا يتمّ إلّا بمجموعة من التفاعلات المحفِّزة للقوى الكامنة في الإنسان قبل الاستعداد إرادة لفعل مخصوص؛ إنّه الحركة بعد السّكون، واليقظة التي لا تغالبها الغفلة.

وعليه:

. هيّئ نفسك لما يجب حتى لا تقودك الشهوة إلى الإقدام على ما لا يجب.

. التفت إلى نفسك واعمل على ما يحقّق لها الطمأنينة.

. فكّر حتى يولّد لك عقلك فكرة تخرجك من التأزّم.

. فكّر فيما تفكّر فيه حتى تتبيّن.

. هيئ نفسك للعمل؛ فهو المنقذ من الحاجة.

. هيئ نفسك لمواجهة الصّعب تنجز ما كنت تأمل.

. هيئ نفسك لغير المتوقّع تجد المتوقّع بين يديك ميسرا.

ومن هنا؛ فالتهيّؤ ما هو إلا تجاذب بين المتوافقات والمتباينات في آن واحد، ممّا يجعل المتوافقات في أشدِّ حالات التلازم، والمتباينات في أقصى درجات الافتراق، وما بين التلازم والافتراق تصبح القوى الكامنة في حالة انتباه تجاه المرغوب فيه ممّا يجعل التهيّؤ بإرادة مرحلّةً متكاملة قبل الاستعداد والتأهُّب لأداء الفعل الذي كان مأمولا.

ولأن التهيّؤ قبلي؛ فهو الذي يسبق صورة الشيء قبل أن يصبح شيئا مفعولا، ولو لم يكن الشيء متهيئا للظّهور ما كان ذلك الشيء ماثلا أمام المشاهدة والملاحظة؛ فالتهيّؤ هو المؤسّس للهيئة التي سيكون الشيء مصوَّرا عليها بالتمام؛ وكلُّ فعل لا يكون فعلا إلّا بعد أن يتهيأ ذلك الفعل في ذهن وعقل الذي سيفعله، فإذا أراد أحد أن يُظهر مشكلة بين النّاس لابدَّ أن يُهيئها للفعل، ومع ذلك لن تكون مشكلة إلّا إذا تهيأ لها فاعل بإرادة مع وافر الاستعداد ثمّ التأهّب لأجل الإقدام على أداء فعلها بسلوك على أرض الواقع؛ فالإرهاب لو لم تتهيأ معطياته وظروفه وأفعاله في ذهن فاعليه ليكون بين النّاس مفعولا ما كان له وجود بينهم، وبعد أن وُجِدَ الإرهاب ظاهرة مهيأة لأن تتحقّق بالقوّة أصبح الأثر الإرهابي ذا وطأة على أنفس المرتهبين ممّا جعل أفعالهم تميل إلى التوازن والاعتدال بدلا من ميلها انحيازا بغير حقّ.

ولأنَّ التهيّؤ دائما يسبق إعداد العُدّة والفعل والسّلوك والعمل، لذا فإنَّ صور المصنوعات لا تتحقّق على أرض الواقع إلّا بعد أن يكون

لها هيئة في أذهان وعقول المبدعين لها، ولهذا، لا يمكن أن يصنع الإنسان شيئا إلّا بعد أن تتهيأ له صورته متكاملة؛ فالسّكّين على سبيل المثال: لو لم تتهيأ صورته في عقل من صوَّره بعد تهيّؤ، ما كان السكّين على الصّورة التي هو عليها دليل شاهد بين أيدينا؛ فقد تهيأ في عقل صانعه من حيث كونه صلبا ومتينا وحادّا من أحد طرفيه أو حادّا منهما، وله مقبض يُمسك به من أجل وظيفة تؤدّى أو سلوكٍ يمارس أو فعلٍ يُفعل، وهكذا كلّ مصنوعٍ لا يمكن أن يُصنع إلّا بعد تهيّؤه في ذهن العقل البشري، وكلّ فعل لا يُفعل إلّا بعد تهيّؤه في العقول، ولذلك فإنَّ أفعال الإرهاب لا يمكن أن تسبق تهيّؤاتها؛ فهي لو لم تكن قد تهيأت من قَبل في العقل البشري ما كانت أفعالا متحقِّقة على أرض الواقع، وهكذا هو حال الفكرة فبعد أن تنضج في عقل المفكّر أو المتدبّر يتمّ من بعدها رسم الخطط المنفّذة ممّا يجعل المتهيئ في حالة انتظار للقيام بالعمل أو أداء الفعل بعد استعداد وتأهُّب لفعله.

ولسائلٍ أن يسأل:

كيف يتهيّأ الإنسان لإظهار الأثر الإرهابي في أنفس الأعداء؟

مع أنَّ الإرهاب لم يكن ماديّ الصّورة حيث لا شكل له ولا مظهر له سوى الأثر السّلبي الذي يمسّ النّفس الإنسانية، إلا أنَّ أثره لا يكون سائدا في النّفس البشرية إلّا بعد الإعداد له إعدادا ماديا، أي:

إعدادا لِما يُظهِره وليس إعدادا لإظهاره. ولهذا فالإرهاب تُظهره العُدّة المرهبة للنفس المخيفة التي تعتقد أنّه لا مخيف لها، فتتفاجأ بأنَّ هناك من يُرهبها عتادا وعُدّةً وتأهبا واستعدادا.

إذن يتهيّأ الإنسان لإظهار الأثر الإرهابي بالقوّة العقليّة التي بها يستطيع أن يُدرك أنَّ الخوف سيظل سائدا بين قوي وضعيف إلى أن يمتلك من كان ضعيفا القوّة المرهبة للذين يعتقدون أنَّهم يُخيفون ولا يخافون، وبامتلاكه القوّة عُدّة وعتادا واستعدادا واستيعابا مع وافر التدريب والمهارة يصبح ما وصل الإنسان إليه من قوّة مرهبة قادرا على إعادة التوازن بين الأنا والآخر دون سيادة للمظالم.

ومن هنا كان أمل البعض اكتساب القوّة القاهرة للإرهاب بغاية استتباب الأمن وإعادة التوازن، وهذا الأمر يستوجب إيقاظ وتهيئة القوّة العقلية ولفتها للمخاطر بهدف تجنّبها وتفادي أضرارها.

والتهيّؤ للفعل لا مكان فيه للتردُّد في نفس المتهيئ لأداء الفعل، ولا خوف في نفسه ممّا يجعل الإرادة مولّد القوّة الدّافعة لتنفيذ الفعل في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع؛ فدائرة الممكن هي دائرة تيسير الفعل أو تعسيره، ولذلك فمن يتوقّع أنَّ أداء الفعل أمرُ ميسَّر قد تواجهه صعاب تحول بينه وبين تنفيذه بنجاح، وكذلك إذا كان أحد من البشر يرى أنّ فعلا ما لا يمكن أن يُفعل، ولكن أقدم آخر على فعله بنجاح،

يوصف هذا النجاح بأنّه نجاح غير متوقّع فعله، ولكن لو لم يكن ممكنا ما فُعل، ولهذا الأفعال في دائرة الممكن قابله لأن تُفعل ولو تعسَّرت على البعض، ومن هنا تولد الخوارق من الخوارق.

فالتهيّؤ لكونه إيقاظا عقليا؛ فإنّه يسبق القول والفعل والسّلوك والعمل؛ وبدونه لن يكون العمل أو الفعل إلّا وظيفة لا تؤدّى إلا بمقابل ولا تُقدَّر إلّا به؛ ممّا يجعل للإرادة مكانة تجعل التهيّؤ إيقاظا هو المحدِث للفعل والمحقِق للرّضا وإن كان على حساب الآخرين وما يحقّق لهم من طمأنينة، وفي مثل هذه الحالة وإن وُصِفَ الإرهاب من قِبَل الآخرين بما لا يتطابق مع مفهومه كما جاء في الكتاب الحكيم؛ فيظل هو المحقّق للتفاخر من قبل المقدِمين عليه إرادة.

ولأنّ الإرهاب فعل مقلق فَلِمَ لا يلتفت العقل الإنساني يقظة إلى ما يُمكّن من تفاديه بسلام؟ ولمّ لا يتهيأ الجميع للسّلام الذي يجمع شمل المتفرقين والمتقاتلين؟

قد يرى البعض إنّ هذا القول لا يزيد عن كونه أمنية، ولكن ألا يكون في دائرة المتوقّع وغير المتوقّع أنَّ كلّ شيء ممكن؟ فالمعطيات التي جعلت العقل يتهيأ للفعل الإرهابي، ألا تجعله يتهيأ يقظة إلى الحياد عنه أو القضاء عليه؟

إنّ التهيؤ يقظة يلفت الإنسان إلى أهمية خلقه في أحسن تقويم، ومن ثمّ يلفته إلى المحافظة على حسن تقويمه بما يتشرّبه من قيم حميدة، وفضائل خيّرة، تمكّنه من تقبّل الآخر (هو كما هو)، كما تمكّنه من احترامه وتقديره واعتباره واستيعابه، وذلك بهدف غرس الثّقة المتبادلة، وبغاية تغيير الحاضر تجويدا، ومن ثمّ العمل على صناعة المستقبل المأمول.

التهيّؤ في مواجهة التهيؤ:

ولأنّ التهيؤ حيوية تتمدّد من السّكون إلى الحركة؛ فهي ستكون حيويّة ذات أثرٍ موجب أو سالب على المتهيئ ومحيطه الاجتماعي، وستكون في المقابل لها ردّات فعل بين قبولٍ ورفض.

ولأنَّ لكلِّ فعل ردّة فعل فكما يتمَّ التهيّؤ لأداء الأفعال؛ فكذلك يتمَّ التهيّؤ يقظة لمواجهتها بأفعالٍ مضادة لها، وكما تُرسم الخطط لتنفيذ الفعل كذلك تُرسم الخطط لمقاومة الفاعلين له، فالذين يتهيّؤون إلى ارتكاب أفعال الإرهاب بإرادة في معظم الأحيان يُقْدِمُون على تنفيذها دون تردّد، والذين يقاومون أفعال المرهِبين بإرادة همّ الآخرون يقدمون على مقاومتهم ومقاتلتهم بكل قوّة، أمَّا أولئك الموظفون الذين تُصدر لهم أوامر تنفيذ الإرهاب أو أوامر مقاومته فلن يكونوا فاعلين بقدر ما تكون أيديهم على الزّناد مرتعشة في حالة ما إذا

كُتبت الحرب عليهم أو تمّ إعلان المواجهة بين الأنا والآخر؛ ممّا يجعل أفعال المنفِّذين للإرهاب تبوء بالفشل كما تبوء به أفعال المقاومين له.

ولذلك فمن تهيّأ واستعدَّ لفعل وأقدم عليه ليس بالأمر الهين أن يتهيّأ يقظة لِما يُغيّره عن الاستمرار فيه إلّا إذا فكَّر وتذكَّر وقَبِلَ إرادة أنَّ المعلومة في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع لا تُصحّح إلا بالمعلومة الحاملة للحُجَّة، أي: دائما عندما يتوفّر حُسن النيّة تكون المعلومة الصّائبة وحدها هي القادرة على تصحيح المعلومة الخاطئة وقهرها حجّة، ولكن إذا لم تتوافر النوايا الحسنة فستظل المعلومات دائما تحت أثر التزوير الذي به ينتشر الانحراف عن الفضائل الخيرة والقيم الحميدة.

إنّ الوقوف على حقيقة التهيّؤ وتهيُّئته التي يقوم عليها، تتوقّف على معرفة المصادر المغذّية له، والفَلك الذي يدور فيه، فمدار فلكه يكمن بين العقل والقلب والرّوح والنفس، ومصادر تغذيته هي الأفكار والعواطف والانفعالات والغرائز بصرف النّظر عن سالبها وموجبها، ولهذا يجب أن ينتبه الإنسان إلى الآتي:

ـ مراجعة القيم، لتثبيت المفيد والمرضي، وتصحيح المشوّه منها.

ـ مراجعة المناهج والمقررات التعليمية وجعلها مواكبة لحركة التغيير والتطوّر، وأن تكون ملبيّة لحاجات المتعلمين إلى المعرفة.

. أن تكون المقررات التعليمية مستفزّة لعقول المتعلمين حتى تشدّهم إليها وتقودهم إلى ما يجب.

. أن تكون عقول المعلّمين مستنيرة بالمعرفة الواعية والمتجدّدة، ومتفهّمة لمراحل النمو وما ينبغي أن ينتبه إليه.

وكلما توفَّرت الأفكار والحُجج تجاه القضية الخارجية مثار الانتباه والاهتمام، كانت استجابة التهيّؤ للحدث أسرع، وكلما تضاءلت الأفكار أو انعدمت، كانت عملية التهيّؤ متباطئة لحين استجماع الأفكار عن الحدث الخارجي الذي يُودّ الوقوف عليه.

فالتهيّؤ لا يكون إلّا بمعطيات خَلقيّة وخُلقيّة، ومزيج من الوعي والمعلومات والأفكار، وما لها من علاقة وطيدة مع العواطف والأحاسيس؛ فالتهيّؤ في نفس العاقل هو حالة من انعكاس الإدراك على الشّعور الدّاخلي من قضية خارجية، والإنسان يمتلك مزيجا من القوى العقلية والجسمانية والرّوحية وهي في آنٍ واحدٍ تُعِدُّ حالته في لحظة التهيّؤ المطلق قبل الاستعداد لأيِّ فعل من خلال تناسق قوى العقل والجسد والرّوح لتكون متهيئة على البدء لأنْ تستعدّ للفعل متى شاءت وأينما شاءت في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع.

وتُعد لحظة التهيّؤ يقظة من خلال العلاقة القائمة بين العقل والعواطف، إذ إنّ التهيّؤ لدى الإنسان يكمن في المساحة الحرّة بين

العقل والعاطفة، وذلك عندما تستثار الغريزة بدافع من العاطفة، وهنا يكون الإنسان في وضع التهيّؤ. والذي يحجب التهيّؤ عن الاستعداد وصولا إلى الفعل هي الإرادة التي تتحكّم به لحين اتخاذ القرار، ولهذا فلا تهيؤ بلا إرادة، ولا إرادة فاعلة بدون تهيؤ.

والتهيؤ مع أنّه نفسي وعقلي، فإنَّ أصحابه الذين تهيؤوا إلى ما تهيؤوا له هم في حاجة إلى توجيه وإرشاد من الذين لهم في ميادين المعرفة والتجربة والخبرة باع كبير، ولهذا فعلى من يتهيأ لما يشاء ألا يغفل عن استشارة المؤهلين للمشورة قدوة أو معرفة أو خبرة وتجربة.

وللتهيؤ مصادر منها:

- الفضائل الخيّرة.
- القيم الحميدة.
- المقررات الناجحة.
- الحواضن الاجتماعية الواعية.
- وسائل الإعلام المرشّدة.
- مراكز البحوث المتقدّمة.
- الأندية الرّياضية المتطلّعة.

ـ مراكز التأهيل والتدريب المعدّة تقنية.

ـ الأفكار المتفتّحة والتي يمكن استمدادها استنارة، ومن ثمّ تُكتسب وتمكّن من ذاكرة العقل، إذ إنّ العقل هو الميزان المعتدل بين سلسلة الأفكار السّالبة والموجبة التي تتأثّر بالحاجات وأساليب إشباعها، كما أنَّ الإرادة هي سلسة الممكِّنات من اتخاذ القرار الذي به يتمّ الاستعداد والإقدام على تأدية الأفعال المماثلة في السّلب والإيجاب.

إنَّ الأفكار التي تغذي العواطف وتستفزّ المشاعر وتُوَجِّه الأحاسيس، هي التي تدفع الإنسان فكريّا ثمّ تدفعه سلوكيّا ليكون على ما يكون عليه من تهيؤ وإرهاب. لذلك فمتهيئات اليقظة كامنة في العواطف بتعدّد الأفكار؛ فعندما يكون العقل في أوجِّ نشاطه يسيطر على عواطفه ويجعلها في حالة اعتدال متوازن فلا تؤثّر سلبيا عليه، وأمَّا إذا اشتدّت العاطفة فإنَّها تستدعي معظم الأفكار الخاصّة بالحدث بمؤثِّرات خارجيّة عن طريق الإدراك الذي ينعكس شعورا داخليا يؤجّج العاطفة بحيث تصبح أكثر نشاطا من العقل.

فنشاط العواطف يُضعف من نشاط العقل قدرا يناسب قوّة العواطف، وكذلك العقل يُضعف من نشاط العواطف درجة تناسب قوّته ونشاطه كلّما تهيّأ لمواجهتها يقظة من الضمير الذي يُقدِّر الأنا والآخر دون تحيُّز، ولذا عند ما يُصرف النّظر عن الفكرة المنشِّطة

للعاطفة تتلاشى في العقل وتهدأ العاطفة فيزول التأثير على الغريزة التي تدفع التهيّؤ للظهور إلى حين ظهور المؤثّر الخارجي مرّة أخرى أو استدعاء الفكرة من الحافظة عن طريق الذّاكرة.

ولهذا فالتهيّؤ للقول أو الفعل يسبق اتخاذ القرار الذي بدوره الطبيعي لا يُتَّخذ إلّا بإرادة؛ فالتهيّؤ للقول يؤدّي إلى الاستعداد لأنّ يقال بإرادة، والتهيّؤ للفعل يؤدّي إلى الاستعداد لأن يُفعل بعد تأهّب.

ولسائل أن يسأل:

هل يمكن للإنسان أن يَقدم على تحقيق مُنجز غير متوقّع دون أن يتهيأ له؟

تحقيق أو إنجاز غير المتوقّع ليس بالأمر الهين؛ فهو لا يمكن أن يتحقّق هكذا ضربة عشواء، بل يتحقّق بحسن التدبّر الذي لو لم يكن صاحبه متهيئا له ما كان متحقّقا أو منجزا؛ فغير المتوقّع لو لم يتهيأ له، وتُحدّد له الأهداف وترسم الخطط من أجله ما كان فعلا منجزا بين الأيدي.

التهيّؤ قيمة حميدة يجعل الإنسان على حالة من التطلُّع لما يجب قبل أن يحين وقت وجوبه، وهو يقظة مسبقة بالفعل المتوقّع قبل وقوعه.

فالتهيّؤ يعكس إدراك الإنسان لِما هو ممكن وفقا للواقع الذي سيكون عليه، ولهذا يكون الإنسان منتظرا الزّمن الذي سيأتي، ليقدم على الفعل أثناء وجوب أدائه، وفقا للخطة المرسومة والمعتمدة دون تأخير، ومن هنا نجد المتحفِّزين والمتدافعين في حالة حركة مع حركة سُنن الحياة، وهم يحقّقون المنجزات بجهود تبذل.

التهيّؤ كونه تخمين في لحظة الصّحوة دائما يسبق القول والفعل والسّلوك والعمل؛ فبدونه لن يكون العمل أو الفعل إلَّا وظيفة لا تؤدّى إلَّا بمقابل، ولا تُقدَّر إلَّا به، ممّا يجعل للإرادة مكانة تجعل التهيّؤ هو المحدِث للفعل والمحقّق للرّضا وإن كان على حساب الآخرين، وما يحقّق لهم من طمأنينة، وفي مثل هذه الحالة وإن وُصِفَ الإرهاب من قِبَل الآخرين بما لا يتطابق مع مفهومه كما جاء في الكتاب الحكيم؛ فيظل هو المحقّق للتفاخر من قبل المقدِمين عليه إرادة.

وكلما توفَّرت الأفكار والحُجج تجاه القضيّة الخارجيّة مثار الانتباه والاهتمام، كانت استجابة التهيّؤ للحدث أسرع، وكلما تضاءلت الأفكار أو انعدمت، كانت عملية التهيّؤ متباطئة لحين استجماع الأفكار عن الحدث الخارجي الذي يُودّ الوقوف عليه.

ولذا فإنَّ التهيّؤ لا يكون إلَّا بمعطيات خَلقيّة وخُلقيّة، ومزيج من الوعي والمعلومات والأفكار، وما لها من علاقة وطيدة مع العواطف

والأحاسيس؛ فالتهيّؤ في نفس العاقل هو حالة من انعكاس الإدراك على الشّعور الدّاخلي من قضية خارجية، والإنسان يمتلك مزيجا من القوى العقلية والجسمانية والرّوحية، وهي في آنٍ واحدٍ تُعدُّ حالته في لحظة التهيّؤ المطلق قبل الاستعداد لأيِّ فعل، من خلال تناسق قوى العقل والجسد والرُّوح لتكون متهيّئة على البدء لأنْ تستعدّ للفعل متى شاءت، وأينما شاءت في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع.

التهيؤ لا ينجز الفعل مباشرة (بمجرد اكتمال التهيؤ أو وضوحه) بل التهيؤ يزيح العقل من التخمين في الشيء إلى البحث عن العدّة، ثمّ الاستعداد لما يأمل أن يقوم به أو يواجهه أو يفعله؛ أي لا يمكن أن يكون التهيؤ غاية في ذاته، بل الغاية من ورائه أعظم وهي بلوغ المأمول.

ومن هنا تُحدّد لحظة التهيّؤ من خلال العلاقة القائمة بين العقل والعواطف، إذ إنَّ التهيّؤ لدى الإنسان يكمن في المساحة الحرّة بين العقل والعاطفة، وذلك عندما تستثار الغريزة بدافع من العاطفة، وهنا يكون الإنسان في وضع التهيّؤ. والذي يحجب التهيّؤ عن الاستعداد وصولا إلى الفعل هي الإرادة التي تتحكّم به لحين اتخاذ القرار عن وعي ودراية معرفية مع حسن تدبّر.

ولهذا فمصادر التهيّؤ بالنّسبة للإنسان، هي الأفكار المكتسبة والممكِّنة من ذاكرة العقل، إذ أن العقل هو الميزان المعتدل بين سلسلة

الأفكار السّالبة والموجبة، التي تتأثّر بالحاجات وأساليب إشباعها، كما أنَّ الإرادة هي سلسة المِمكِّنات من اتخاذ القرار الذي به يتمّ الاستعداد والإقدام على تأدية الأفعال المماثلة في السّلب والإيجاب.

ومن ثمّ ينبغي على الإنسان أن يتهيأ لما يجب، حتى لا تحدث له المفاجئات المؤلمة؛ فتتبدّل أحواله من حالة المبادرة إلى حالة البحث عن منقذ. وبالتالي ينبغي أن يبحث الإنسان عن أملٍ له يشغله اهتماما وتفكيرا حتى تلد له الفكرة فكرة تلد حلّا.

مكوِّنات التهيّؤ:

التهيؤ كونه قيمة عقلية ونفسية؛ فهو الممكّن من المعرفة المقصودة، والمحفّز على إحداث النَّقلة إلى ما يمكن أن يؤدّى أو يفعل أو ينجز أو يتمّ الفوز به، ولكن كلّ ذلك لا يتحقّق لو لم تكن للتهيؤ مكونات قابلة للاستفزاز بما هو مشاهد ومجرّد، ومن هذه المكوّنات:

تهيّؤ مادّي عقلي:

مع أنّ العقل هو مصدر التهيؤ، فإنّه ذاته في حاجة لأن يهيأ، أي أنّ العقل بطبعه يمكّن من التهيؤ كما هو حال الكائنات غير العاقلة، ولكن القضايا الكبيرة تستوجب أن يلتفت العقل إلى ملكاته مراجعة وتقييما، حتى تستقيم ملكاته لإنتاج الفكرة التي لم تكن من قبل في دائرة العقل متوقّعة، ومن هنا وجب التفكير في غير المتوقّع مثلما

وجب التفكير في المتوقّع؛ فالإنسان الذي خُلق في أحسن تقويم، خُلق مقوّما على الهيئة والصّورة {الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ}1، أي: خلقك على المقدرة لأن تفعل ما تشاء مخيّرا في مشيئته تعالى، أي في خَلقك كانت الصّورة التي أنت عليها تمشي سويّا والتي تستوجب حُسن الخُلق الذي به تنال المكانة والتقدير، والذي به تصنع القدوة عملا يحتذى به.

إنَّ التهيّؤ المادّي العضوي هو تهيّؤ فطري، والمقصود به ما يتمتّع به الإنسان من أعضاء يستطيع أن يمارس بها أفعالا معيّنة؛ فنجد هذه الأعضاء مهيأة لذلك قبل مباشرة الفعل كالحواس جميعها؛ فالعين مهيّأة للنّظر والأذن مهيّأة للسّمع، والقدم مهيّأة للمشي، واليد مهيّأة لاستعمالات كثيرة، وكذلك العقل مهيّأ لتقبُّل العلوم والتمييز والاستنتاج والاستنباط والاستقراء والتدبُّر، وباجتماع إحدى ملكات العقل مع إحدى هذه الأعضاء، يتولّد تهيّؤ ثنائي جديد بين الأداة المادّية والجانب الذّهني.

ومع أنّ العقل ليس ذلك المادّي كما هو حال الحواس الأخرى، فإنّه حاسّة، بل هو ملك الحواس جميعها؛ فبدونه مفاتيح السّيطرة تُفقد من على كلّ الحواس؛ فلا القدمان يمشيان كيفما يجب، ولا العينان تبصران كما يجب، ولا السّمع والحركة والسّكون تكون كما هي من غير

[1] الانفطار 7، 8.

عقل سليم يضبطها توجيها وسيطرة؛ ولهذا جاء التهيؤ العقلي خَلقا مميّزا للإنسان الذي خُلق في أحسن صورة؛ أي أنَّ العقل لم يُخلق على الخُلق، بل الخُلق لا تكون إلّا مكتسبة؛ ومن هنا؛ فمن تهيأ عقلا لأنْ يتعلّم لا شكّ أنّه سيتعلّم، وإذا تهيأ عقلا لأنْ يعمل لابدّ وأن يعمل، وهكذا؛ فالإنسان مهيأ خَلقا ليكون المخلوق الأرقى، ولكن في بعض الأحيان الإنسان ينحدر إلى السُفلية والدّونية طمعا أو ضعفا وشهوة. ولو فكّر الإنسان في نفسه ولِمَ خلقه الله في أحسن صورة، وشاء له أن يكون خليفة في الأرض لأدرك أنّ رسالة صعبة ستكون عبئا على ظهره، ولأنّها الرّسالة؛ فهي واجبة الأداء مع حسن التدبّر والتذكّر والتفكّر الذي يمكّن من حُسن المعرفة التي لا يتمّ استيعابها إلّا بالتهيؤ.

ومع أنّ الإنسان ارتقاء خُلق مسيّرا في أحسن تقويم، فإنّه اختيار انحدر في غفلة حتى أصبح أقل شأنا عمّا خُلق عليه، وعندما لامس القاع سُفليّة أخلاقية أخذته الصّحوة والحيرة تملأ نفسه ندما؛ فاستغفر لذنبه؛ فتاب الله عليه، ذلك لأنّه المخلوق على الارتقاء، ولكن بعلّة الشّهوة اختار أن يسلك سلوك المنحدرين دونية؛ فأصبح النّعت سُفليّة يلاحقه منذ تلك السّاعة التي انحدر فيها حيث لا منقذ له بعلل الاختيار انحدارا.

فالإنسان الذي خُلق على قمّة النّشوء ارتقاء، لو لم ينحدر بداية، لكان إلى يومه هذا على قمّة الزّمن الحاضر في حُسن خَلقه

وحُسن خُلقه. ولكنّ الغفلة قد أخذته؛ فعصى ربّه؛ فانحدر إلى ما لا ينبغي، ولأنَّ الإنسان قد خُلق في أحسن تقويم؛ فليس له بدّ إلّا المحافظة على حُسن تقويمه، وهذه قاعدة، ولكن إن انحدر استثناء، وبأيّة علّة؛ فليس له إلّا النّهوض، وهذه قاعدة أيضا.

ومع أنَّ الإنسان خُلق على الارتقاء، فإنّه انحدر رغبة وغفلة، ثمّ انتبه لأمره ارتقاء؛ فاستغفر لذنبه؛ فتاب الله عليه، وجعله من المكرّمين، قال تعالى: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا}[2]. ومع أنّهم المفضّلون، فإنّ البعض غير مقدّرٍ لهذا التفضيل؛ فمنهم من ضلّ، ومنهم من اهتدى، وهم لا يزالون مختلفين وسيظلون كذلك. أي متى ما هيّأ الإنسان نفسه إلى الإقدام على الموجب أصبحت أفعاله موجبة، ومتى ما هيّأ نفسه إلى السّالب أصبحت أفعاله سلبية.

وعليه؛ فعبر التّاريخ والمنحنى التكراري للسّلوك والفعل البشري بين هبوط وصعود؛ فمع أنّ الإنسان خُلق ارتقاء (سويّا) على صراط مستقيم، فإنّ سلوكه وفعله انحدر إرادة عمّا خُلق عليه من ارتقاء واستقامة؛ فالإنسان لم يُخلق على الانحراف والحيوانية، بل هذه قابلة لأنّ تكون جزاءا من سلوكه إذا تهيّأ لها، وهذه لا تكون إلّا من تدبّر عقله وتهيئة نفسه، فلا يليق به أن يكون مثل تلك التي تمشي مكبّة، {أَفَمَنْ

[2] الإسراء 70.

يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}[3]، ومع ذلك، انحدر دونية عمّا خُلق عليه من حسن قوام وتقويم، عندما خالف أمر ربّه الذي نهاه عن الأكل من تلك الشّجرة، ومن هنا، كانت النقطة الصّفرية التي بدأ منها رسم المنحنى التكراري للسّلوك الإنساني وفعله، ولم تكن النقطة الصفرية من دونية إلى علوٍّ ورفعة، بل كانت من علوٍّ إلى دونية، وهذه أوّل مخالفة (أوّل استثناء) والتي أعقبتها استثناءات وفقا لما هيّأ الإنسان نفسه إليه دونية وانحدارا. فهو الذي خالف حُسن الخَلق الذي به تميّز عن غيره من تلك الزّواحف ومكبّة الأوجه، ذلك هو أمر الخالق؛ فلا يتبدّل، أمّا المتبدّل فهي الأخلاق التي هي بيد المخلوق والتي إن تهيأ لها كانت صفة من صفاته الحسان، وإن تهيأ لما هو سفلي فليس له إلّا السُفلية والانحدار الذي لا يليق بمن خُلق على حُسن التقويم.

ومع أنّ الإنسان ارتقاء خُلق مسيّرا في أحسن تقويم، فإنّه اختيارا انحدر في غفلة حتى أصبح أقل شأنا عمّا خُلق عليه، وعندما لامس القاع سُفليّة أخلاقية أخذته الصّحوة والحيرة تملأ نفسه ندما؛ فتهيأ للاستغفار فاستغفر لذنبه؛ فتاب الله عليه بعد أن هيّأ نفسه إلى الإصلاح والعمل الممكّن من بلوغ الارتقاء والتهيؤ إلى ذلك المأمول.

---

[3] الملك 22.

ولهذا؛ فمكوّنات التهيؤ لم تكن مقتصرة على الوجود المادّي فقط سواء أكانت المادّة (ماء، أم نارا، أم هواء، أم ترابا، أم أنّها مجتمعة) ، بل كان الكون بأسره بين مادّة تلمس ومادّة تحتاج إلى معرفة، وبين روح يصعب إخضاعها للمشاهدة، وبين عقل يدرك كلّ شيء في دائرة الممكن، وبين نفس تتأثر سلبا وإيجابا كما أنّها تؤثّر في غيرها سلبا وإيجابا. ولهذا فالكون مبنيّ على معطيات تتعدّد ويصعب عدّها، سواء أكانت طاقة، أم مجرّات، أم فراغا وظلمة، أم نجوما وكواكبا، وهذه جميعها تتمدّد بين المستحيل بلوغا، والمعجز نشوءا ومعرفة، والممكن تيسيرا وصعوبة.

تهيّؤ مادّي نفسي:

التهيؤ المادّي النفسي مكوّن معقّد بين الصّحوة والغفلة، وبين الحاجة ومشبعاتها، وبين المطلب والاستجابة، وبين المزاج والوعي، وبين المرونة والتصلّب، وبين المتهيأ والمأمول، وبين الصدق والتحايل، وبين الحقّ والواجب، والمشاركة والانطواء. وبين التخطيط والإقدام على العمل.

والتهيؤ المادّي لا يكون إلّا ملموسا على أرض الواقع وجودا، وهو نتاج الفكرة المتبيّنة لأمرها، وما ينبغي أن يفعل من أجل النفس؛

فالنفس متى ما كانت مطمئنّة تحفّزت إلى التدبّر الممكّن من العمل المنتج نفعا.

ومن ثمّ؛ فإنَّ اشتراك الأعضاء المادّية مع الجانب النفسي من انفعالات تدخل في تشكُّلات التهيّؤ؛ فعلى سبيل المثال: إذا شاهدت أفعى فسوف ينتابك شعور معين لا نستطيع أن نحكم عليه هو كما هو، بل هو على احتمالات منها:

- أن تكون خائفا؛ فتفكّر في الفرار؛ فأنت في حالة تهيّؤ.

- أن تكون حذرا؛ فأنت مهيّأ لتركها وشأنها.

- أن تكون مرتهبا؛ فأنت مهيّأ لمواجهتها إمَّا للإمساك بها أو لقتلها.

ومع أنَّها ثلاثة احتمالات إلَّا أنَّ الاحتمال الأوّل لم يُعدّ من طبيعة ما يوصف به الثُّعبان؛ فالثّعبان لا يخيف، بل الثُّعبان مُرهب، أي أنَّ العاقل هو الذي يُخيف لأنَّه عاقل قادر على التفكّر والتذكُّر والتحايل، ومع ذلك فهو قابل للحوار والجدل الذي يؤدّي إلى معرفة وإدراك قد يؤدّي إلى مراجعة أو حُسن تصرّف، أمّا الثّعبان فهو غير عاقل وبالتّالي القاعدة تنصّ على أنَّ (العاقل يخيف وغير العاقل يُرهب) أي أنَّ الصّاروخ والقنبلة النووية وأيِّ قنبلة أو سلاح فتّاك، وأيِّ حيوان مفترس أو سام هو مُرهب، أمّا العاقل فمجال التفاوض والتسامح حيّزه

واسع، والمواقف تتغيّر وتتبدّل في مُعظم الأحيان من سيء إلى أحسن كلّما أحسن الإنسان تصرّفه وتفكيره.

فما حصل مع الإنسان الأوّل (آدم) الذي خُلق في أحسن تقويم، ولم يُخلق على الكمال، يدلّ على أنَّ الإنسان بين التسيير والتخيير (يصيب ويخطئ)، وبين هذا وذاك يستغفر؛ فيتاب عليه، ومن ثمّ؛ فمخالفة أبينا آدم هي مخالفة تخييريّة ذات علاقة بالإرادة والرّغبة والشّهوة، وهذه مكامن العلل والضّعف النّفسي التي تجرّ لما لا ينبغي (للمخالفة) كما تجرّ لما ينبغي (الطّاعة والاتباع)، ولذلك؛ فحسن التقويم لا يتغيّر، أمّا حُسن الأخلاق في دائرة الممكن؛ فيتغيّر بين سُفلية وارتقاء، وكلّ حسب ما يهيأ الإنسان إليه إرادة.

وعليه:

- هيئ نفسك علما ومعرفة.
- هيئ نفسك بنية.
- هيئ نفسك تطلّعا.
- هيئ نفسك مشاركا.
- هيئ نفسك متفهّما.
- هيئ نفسك مخيّرا.

. هيئ نفسك مستوعبا.

. هيئ نفسك منتجا.

تهيّؤ مادّي نفسي عقلي:

التهيؤ كونه قيمة يمكن أن يكون بيد الإنسان تجاه نفسه وعقله، ويمكن أن يكون بيد الإنسان تجاه غيره. ولهذا كلّما هيأ الإنسان نفسه استغنى عن تهيئة الغير له، وهذه من موجبات التهيؤ، ولكن إذا قصر الإنسان عن تهيئة نفسه تجاه الأشياء وتجاه الآخرين، فيكون في حاجة لمد يدّ العون لتأخذه بما يمكن أن يهيئه لما يجب.

والتهيؤ كونه مولود الفكرة والتفكير ومحاولة حُسن التدبّر لا يمكن أن يكون مستقل بذاته، بل لا يكون على الدّلالة والمعنى إلّا إذا تجسّد في الشيء بعد أن ينضج فكرة تامّة، وهذا النّوع من التهيّؤ أعلى من التهيّؤين السابقين، حيث تشترك فيه الأداة المادّية والانفعال النّفسي الذي مصدره الشّعور، والجانب العقلي القائم على المعلومات وسلسلة الأفكار ذات العلاقة بموضوع التهيّؤ؛ فالذين يُخرجون من ديارهم بغير حقّ يتهيؤون مادّيّا ونفسيّا وعقليّا للذود عن ديارهم وكرامتهم، حتّى يردُّوا اعتبارهم واعتبار من له علاقة بهم؛ فهم متهيّئون نفسيّا لردّ الاعتبار، ومتهيّئون ماديّا بتقديم الأنفس والأموال التي بها تخاض الحروب، ومتهيّئون عقليا برسم الخطط وفنون القتال وما يترتّب على

الحروب من نتائج في النّصر أو الهزيمة، ولذا تتداخل معطيات القوّة بين قوى النّفس وقوى المادّة وقوى العقل في صيرورة معرفيّة تهيّئ لِما يجب عندما لا يغفل الإنسان عن أهميّة التحليل الموضوعي للصغيرة قبل الكبيرة، وإن لم يراع ذلك يجد نفسه أمام المواجهة التي لا تعرف الاستثناءات.

فالتهيؤ المادّي والنفسي والعقلي هو حُسن تدبّر يستند على التخطيط ورسم السياسات تجنّبا للغفلة وما تتركه من أثرٍ سالبٍ؛ فبنو آدم عندما لا تكون لهم آمال، لا يعدّون إلّا أمواتا وهم على قيد الحياة، والذين يأملون الارتقاء ولا يعملون من أجله؛ فسيبقون على أملهم وكأنّهم بلا آمل، أمّا البعض الذي يأمل ويعمل ويفعل؛ فلا شكّ أنّه سيُسهم في إحداث النُقلة ارتقاء، وفي المقابل هناك من يهدم وهو لا يعتقد أنّ الهدم سيقع على رأسه وكأنّه بلا رأس. ولذا؛ فلا ينبغي الإغفال عن أهمية التهيؤ المادي والعقلي والنفسي إن أردنا سلامة ونجاحا وتقدما.

وعليه:

ـ إن تهيأت ينسحب الجُبن من نفسك.

ـ إن تهيأت تنسحب الغفلة من عقلك.

ـ إن تهيأت ينسحب الخمول من بدنك.

ومع ذلك لا يمكن أن يكون الارتقاء المتهيأ له ماديّا ونفسيا وعقليا على حساب الغير، بل ينبغي أن يلتحم مع جهودهم المتهيأة لجمع الشمل وزيادة الإنتاج، أو ممارسة الحقوق وأداء الواجبات وحمْل المسؤوليات.

وعليه؛ فمن يهيئ نفسه لارتكاب ما يسيء للغير أو أن يأخذ بما نُهي عنه؛ فسيجد نفسه من النّادمين، كما ندم أبونا آدم بعد أن خسر ذلك الارتقاء بمعصية منه، ممّا جعله استغفارا يهيئ نفسه للارتقاء عمّا انحدر فيه من سُفلية؛ فغفر الله له وتاب عليه بغاية الارتقاء إلى تلك المقامات العظام التي أصبحت أملا بعد أن كانت حقيقة بين يديه.

ولأنّ بني آدم مهيؤون بين ارتقاء ودونية؛ فهم بينهما بين ما يرسّخ قيمة الإنسان رفعة ونهضة ومكانة، وما يؤدّي إلى التخلّف والفاقة وتقليل الشّأن.

ولذلك؛ فالعمل الصّالح ارتقاء يتهيأ الإنسان له مادّيا ونفسيا وعقليا حتى يكون عملا منتجا ومتقنا ومبدعا ومرسّخا لقيمة الإنسان، وفي المقابل التهيؤ للعمل الفاسد والرّغبة الفاسدة، لا يكونان إلّا على حساب القيم الحميدة، وعلى حساب مصالح الآخرين، ورغباتهم ومصائرهم وما يشبع حاجاتهم المتطوّرة والمتنوّعة، ومن ثمّ؛ فالعفّة

والأمانة والنّزاهة وتحمّل أعباء المسؤولية ارتقاء، ستظل قيما في مواجهة تلك القيم المؤدّية بأصحابها إلى السُفلية والدّونية التي تتمركز على الأنا بأسباب ما يتهيأ له شخصانيا.

الارتقاء لا يمكن أن يبلغه بني آدم إلّا إذا تهيأ مادّيا ونفسيا وعقليا مع الرّغبة عدلا وعملا وعفوا وصفحا، وكذلك الانحدار لا يمكن أن يبلغه إلّا إذا تهيأ للظلم والتشدّد والتطرّف، ولذا، في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع؛ من شاء الارتقاء تهيأ له وعمل من أجله ارتقاء، ومن شاء الانحدار تهيأ له وعمل من أجله سُفليّة[4].

فالإنسان عندما يتهيأ للنّهوض ينهض ويرتقي إلى ما يؤدّي به إلى رتق الأرض بالسّماء، وعندما يتهيّأ إلى الانحدار يهوي سُفلية في القاع، أي: عندما يرتقي يجد نفسه وكأنّه يحتوي الإنسانية في نفسه، ولكن عندما ينحدر يصبح عقله أشبه بعقل الحيوان، {فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ}[5].

أي: عندما ينحدر الإنسان ممّا هو عليه من عقل مدبّر، لا شكّ أنّه يقترب إلى عقل القرد الذي هو في دونية إذا ما قورن بعقل من خلقه الله في أحسن تقويم؛ فمثل أولئك المنحدرون قيما هم مثل الحيوان

---

[4] عقيل حسين عقيل، من معجزات الكون (الخلق ـ النشوء ـ الارتقاء، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2016 ص 243.

[5] الأعراف 166.

الذي لا يتذكّر فيتّعظ، ولا يتدبّر فيخطط، ولا يفكّر فيرتقي إلى ما يجب أن يكون عليه رفعة، ولهذا؛ فلا يليق بالعقل الإنساني أن يتشبّه سلوكه بالعقل القردي، الذي متى ما انحدر إليه الإنسان أصبح لا فرق بينه وبين من هو في دونيّة.

تهيّؤ مادّي نفسي عقلي روحي:

عندما يكون التهيؤ في الاتجاه الموجب تصبح الرّوح والمادة والعقل والنفس قوّة موحّدة في اتجاه البناء والإعمار والاستخلاف في الأرض، وفي المقابل عندما تفارق النفس العقل، أو يفارق العقل النفس فلا إمكانية للتهيؤ تجاه ما يجب، بل حياة الإنسان تصبح في حاجة للعناية والرّعاية، ولهذا فالتهيؤ التّام الموجب هو الذي يمكّن من بناء الأنا الموجبة والذّات المتفاعلة والنفس المطمئنة.

إنّها المعادلة الرّباعية التي تهيئ ما يجب أن يهيأ، كما أنّها تهيئ من يمكن أن يتهيأ لفعله أو عمله، إنَّه أقوى مستويات التهيّؤ لدى الإنسان حيث وجود التهيّؤ الرُّوحي القائم على يقينيّات الإيمان الكامنة في القلب، فضلا عن عناصر التهيّؤ الأخرى المادّية والنفسية والعقلية، ولأنَّه روحي؛ فمكمنه القلب الذي يدرك اليقينيَّات كلَّما تطهَّر من الغِل، والحقد والكره والظلم والحسد، وكلّ ما هو ذميم من الخلق.

وعليه:

فالتهيؤ للارتقاء مؤسّس على الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة، ارتفاعا عن كلِّ ما من شأنه أن يؤدّي إلى الانحدار والسُفليّة، وذلك من أجل بلوغ ما يُمكّن من إحداث النُقلة الممكّنة من بلوغ الجنّة والعيش الرغد. ومن هنا، وجب التهيؤ للعمل المحقّق للعيش النّعيم الذي فيه الوفرة تغذي الرّوح، وتطمئن النّفس، وتخاطب العقل، وترضي القلب، وتشبع البدن، وتزيد الذّوق رفعة وارتقاء.

التهيؤ مرحلة مخاض فيه الحيرة تلعب دور رئيسا في إيجاد مخرج منقذ؛ فهي التي تملأ الفكر وتشغله قلقا إلى أن يستبصر أملا يستوجب عملا، وجهدا يُبذل في سبيل بلوغه، وهي المخاض الذي ينذر بولادة ما يسرّ العقل والنّفس، وما يسرّ الغير ارتقاء، ولذلك؛ فالبحوث العلمية ارتقاء تسبقها الحيرة المؤدّية إلى ولادة الجديد المحفّز على حيرة جديدة من بعدها حيرات تُمكّن من إضافة ما هو أفيد وأنفع.

ومن هنا؛ فلا داعي للقلق من الحيرة؛ فقلق الحيرة يُمكّن من الإلمام بالمحيّر حتى يُقتنص له حلّا، ومن لا حيرة تستفزّه؛ فعليه أن يفكّر في الشيء استحالة أو إعجازا أو ممكنا حتى يقتنص حيرة بها يقتنص فكرة تلد له حلّا بعد تهيؤ.

والحيرة تعدّ معطية عقلية تميّز الإنسان تذكّرا وتدبّرا وتفكّرا، وتستفز الذاكرة بما هو محيّر حتى توقظها إلى ما يجب التهيؤ إليه انتباها،

ومن ثمّ؛ فالفِكْر الإنساني يتمركز على نضج الفِكَر، وصوغها في قضيّة تجيب على التساؤل الفلسفي المحيّر وهو: (كيف؟). ذلك لأنَّ الفِكْر ملكة عقلية تثيرها مستفزّات المشاهد والملاحظ والمجرد على السّواء؛ فتتعامل معها تفحّصا بلا إشارة قف، ولكن وفقا للمقدرة التي لا تكون إلّا تهيأ.

ولأنّ الكون قد هيّأ للحياة نشوءا؛ فنشأت الأرض فيه، ومنها الأزواج نشأت كما هو حال آدم وزوجه وغيرهما من الأزواج المعلومة وغير المعلومة، ثمّ من بعد نشوء الأزواج جاء النشوء التزاوجي من الأزواج كثرة؛ وهذا ما يلفت الإنسان لعقله تفكّرا ليهيئ نفسه لإنشاء ما هو ممكن حتى يبلغ المعجز معجزا والمستحيل مستحيلا. أي ينبغي أن يلتفت الإنسان إلى كلّ شيء من حوله، ويتسأل:

كيف خلقت الأشياء؟

كيف كانت الأشياء أشياء؟

ولماذا كانت على الاختلاف والتنوّع؟

أي ينبغي أن تكون هذه التساؤلات معطية تلفت العقل الإنساني إليها لينشئ من الأشياء أشياء أخرى تسهم في إشباع حاجاته المتطوّرة، حيث كلّما تهيأ الإنسان والتفت إلى الأشياء معجزة، اكتشف شيئا جديدا يمدّه بالمزيد من المعرفة؛ فالأرض كونها شيء مليء

بالخامات والثروات الثمينة، فمن بلغها اكتشافا ومعرفة تمكّن من تشييد المزيد نشؤا حتى معرفة المستحيل وبلوغه مستحيلا، وفي المقابل من تُلهه نفسه شهوة ولا يتهيأ إلى المزيد من المعرفة؛ فلن يجد نفسه إلّا على حالة من الانحدار والدّونية التي لا تزيده إلّا قلّة شأن.

ولأنَّ الأخلاق لا تخرج عن دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع رُقيّا؛ فلا استغراب أن يحدث الخطأ، بل الاستغراب ألا يصحّح ولا يقوّم، كما صحّحه أبونا آدم وقوّمه ساعة حدوثه، وساعة كشف علله، {فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ}6. ذلك لأنّ الكلمات الصّائبة تصحّح الأخطاء الواقعة، وهذه تتعلّق بارتقاء الأخلاق، ولا تتعلق بالخَلق الذي لا يتبدّل.

فالإنسان الذي خُلق في أحسن تقويم، هو الإنسان المقوّم للارتقاء، وليس للدّونية، ولكن لأنّ الارتقاء والدّونية يتأثران بالمعرفة والتّخيير تذكّرا وتدبّرا وتفكّرا؛ فهما بيد الإنسان رغبة واختيارا، ولذلك، ينبغي أن يتهيأ بنو آدم ويعملوا كلّ ما من شأنه أن يؤدّي بهم إلى إحداث النُقلة المِمكّنة من معرفة المستحيل وبلوغه ارتقاء.

---

[6] البقرة 37.

معيارية التهيّؤ:

معيارية التهيؤ تتعلّق بجودته؛ فإن كان تهيؤ بغاية خيّرة كانت معاييره قيم وفضائل، وإن كانت على غير ذلك؛ فقد تؤدّي بصاحبها إلى ما يؤلم؛ فالمعايير هي تلك الثوابت التي على ضوئها يتمّ تقييم الأشياء قبولا أو رفضا، وهي التي لا تكون أحكامها مزاجية ولا شخصانية، بل هي الأحكام الموضوعية ذات الاعتدال المتوازن حيث لا ميول عن الحقيقة وما يؤدّي إلى إظهارها بين النّاس بلا انحياز ولا مظالم.

وهي التي تمتدّ على السُلَّم القيمي بين ما يقبله ويستحسنه ويُفضِّله العقل الإنساني، ويَقْدِمُ على فعله، وما ينتهي عنه، ويرفضه ويُحرِّمه ويقاومه، ويُجرِّم أصحابه دون تردّد. إنَّها معادلة بين طرفين (مَنْ يقبل ومَنْ يرفض) وبين هاتين الكفَّتين يسعى الإنسان لأن يكون مركزا للتّوازن والاعتدال الذي لا يؤسّس إلَّا على مُظْهِرات الحقيقة (هي كما هي)؛ فمن يتهيأ لها عن بيّنة يمتدّ إلى ما يمكّن من بلوغ المأمول من ورائها، ومن لم يتمكن عن بيّنة تصبح تهيئته مجرد تهيئة. والتهيؤات هنا، تشير إلى ما يبدو للبعض ولا يبدوا للغير، أو ما يبدو للبعض وهو لا يزيد عن كونه تهيؤ في حدّ ذاته.

ولهذا فمعيارية التهيؤ تتّضح من خلال ما يؤدّيه تجاه المستهدف أو المأمول، فإن مكّن التهيؤ أصحابه من بلوغ الغايات ومن بعدها نبيل المأمولات؛ فإن ذلك لا يكون إلّا نتاج جودة معاييره.

ولأنَّ عقل الإنسان معياري؛ فهو قادر على إجراء المقارنات والوصول إلى نتائج تمكّنه من التمييز بين الحلال والحرام، وتُهيّئه لأن يختار بإرادة حلالا أم حراما أو يتَّبع باطلا أم صوابا؛ فالقيم التي تهيّئ الإنسان لأن يقْدِمَ أو يحْجِمَ عن تأدية الأفعال، هي تلك القيم التي تسمح للعقل أن يجري مقارنات، ويصدر أحكاما قد تجعله في المواجهة مع من لا يُقدِّر حقّه في اتخاذ ما يشاءه من قرارات؛ فيكون الصّدام بين من يؤيّد ومن يعارض، ومن هنا تتولّد الأفكار التي تستدعي تصرّفا متوازنا، أو تصرّفا لا توازن فيه كلّ حسب استنتاجاته ومقاييسه التي اعتمدها لتقييم ذلك المقبول أو المرفوض، الذي تصل فيه الإرادة إلى قرار، إمّا بالسّماح لهذا التهيّؤ بالخروج لوضع الاستعداد، ومن ثمّ مباشرة الفعل، وإمَّا كبح جماح العاطفة الذي يؤدّي إلى التهدئة وعودة الاتزان ويتمّ العدول عن القرار بسبب الاستنتاج، وبهذا يزول التهيّؤ المتكوّن لدى الأنا أو الآخر لفعل قد أريد به الآتي:

ـ إنجاز هدف.

ـ تحقيق غرض.

- بلوغ غاية.

- نيل مأمول.

وبالتأمُّل في كلِّ ما حولنا نرى أنّه مهيّأ من قبل الخالق لاستقبالنا نحن البشر، ومهيّأ كذلك ليكون مسخَّرا ومذللا لإرادتنا؛ فلو لم يكن ذلك التهيّؤ من الخالق ما كانت المخلوقات مستقرّة على سطح الأرض التي خُلقت وهُيئت مُستقرا بالجاذبية التي يُسِّرت بها وسُيِّرت عليها؛ فلولا هذه الجاذبية لما استقرّ شيء على وجه الأرض، ولما تيسَّرت السُبَل للإنسان، وتأسّست العلاقة بين الأزواج إعمارا وإصلاحا؛ فكانت للحياة مقوِّمات من ماء، وهواء، ونور، ونار، وتراب، وحركة، وزمان، ولذلك تعدّدت ثروات الأرض لتشبع حاجات الإنسان المتهيئ لإعمارها.

ولأنّ التهيّؤ من طبيعة المخلوقات، فإنَّ التهيّؤ البشري لا يأخذ طابعا عاما مثل المخلوقات الأخرى التي طُبعت به غرائزيا، بل يختلف من فردٍ لآخر، وذلك باختلاف مؤثّرات الفضائل والقيم التي عليها تأسّست الأخلاق والعادات والتقاليد والقوانين الشرعية والوضعية، وما ينعكس في النّفس الإنسانية من مؤثّرات بيئية سلبية وإيجابية في تشكّل التهيّؤ المعياري لدى الأفراد والجماعات والمجتمعات.

التهيّؤ لدى الإنسان يعتمد على سلسلة العلاقات المترابطة بين أشياء مادّية وقضايا عقلية وانفعالات عاطفية ومسائل روحية، وبتلاقح بعضها، يتولّد نوع معين من التهيّؤ المعياري في اتجاه قابل للخروج إلى مرحلّة الاستعداد لممارسة الفعل، ولذا لا يمكن أن يكون أحاديّ المصدر، ومن خلال تداخل ما يستفزّ العقل والنّفس والرّوح والبدن ينتج التهيؤ كمستجيب للمستفز أو المقلق أو المحيّر، ليبحث عن باعث يشبع حاجة، بواسطة المكونات الآتية:

. مادّية حركة وامتدادا ومشاهدةً.

. عقلية من سلسلة الأفكار الممكّنِة من التفكُّر والتذكُّر والتدبُّر.

. نفسية من انفعالات العواطف وضغوطات الأحاسيس والمشاعر.

. روحية من يقينيّات الإيمان.

معطيات التهيّؤ للفعل:

معطيات التهيؤ للفعل هي تلك المستفزّات التي لا تُقبل بأيّ حال من الأحوال، ممّا يجعل الإنسان مهما بلغ من الجبن ليس له إلّا أن يرفض ويتهيأ لتقبّل المؤلم متى ما ترتّب عليها، ولكن لا يتقبّله رغبة بل تحد تكون فيه المواجهة هي العنوان.

ومع أنّ منتجات التهيؤ مستفزّة، فإنّها لا تقتصر على سالبٍ، بل تتعدّاه إلى الموجب والمطمئن، حيث فيها من المحرّضات على العمل والبناء والإعمار ما فيها، وفي كثير من الأحيان تتجاوز المطالب الخاصّة إلى المأمولات العامّة.

فالتهيّؤ في دائرة الممكن هو متوقّع وغير متوقّع وسالب وموجب؛ فمن النَّاس من يتهيّأ لأعمال الإصلاح والإعمار، ومنهم من يتهيّأ لأعمال الإفساد وسفك الدّماء بغير حقّ، وفي كلِّ الأحوال مع أنَّ التهيّؤ مرحلّة ما قبل الاستعداد والتأهب والفعل فإنّه لا يمكن أن يكون تهيّؤا إلَّا بمعطيات وفيها من التضاد ما فيها، ومن هذه المتضادات:

- الحاجة وما يشبعها.
- القيام بالفروض، واتباع السُّنن.
- ممارسة الحقوق.
- أداء الواجبات.
- حمْل المسؤوليّات.
- نيل الاعتراف والتقدير والاعتبار والاحترام.
- غرس الثقة.

. الإقصاء والعدوان والإذلال والحرمان.

. التسفيه والاستغفال وتقديم الإهانات والمساس بالكرامة.

. الاحتكار والاستغلال ونشر الفساد.

. السخرية من الدّين، أو المساس به وما يتعلّق به من أمور.

. احتلال الأوطان أو القيام بأعمال الإرهاب.

. تزوير الحقائق وشهادة الزور، والعمل على طمس الخصوصية.

. الاعتداء على الملكية الخاصّة ومصادرة الرّأي.

تقابل التهيّؤات

العقل والفطنة والاحتراس والحيطة مفاهيم تتماثل ولا تتطابق، ممّا جعل للصدام والنزاع بداية ونهاية، فما يعتقده الأنا في بعض الأحيان صوابا قد يجهله الآخر أو يغفل عنه، وما يعتقده الآخر صوابا قد يجهله الأنا أو يغفل عنه، ولهذا تتّسع الهوّة بين الأنا والآخر بالمعلومة الخاطئة، وتضيق بالمعلومة الصّائبة، ولكلٍّ حساباته، ومهما اشتدّت قوانين الاحتراس والفطنة والحيطة ومهما بلغ العقل من التفكُّر والتذكُّر والتدبُّر لا يكون مُحصَّنا من الوقوع في الفخِّ.

ولذلك فالتهيّؤات تتقابل عقلا وغريزة وكأنّها في مناظرة بين الأنا والآخر؛ فكما أنّ صيادا يتهيّأ لصيد الطريدة، عند مرحلّة ما قبل الاستعداد للرّمي، فإذا وصل إلى مرحلّة الاستعداد، خضع لقرار الإرادة، وبالتّالي فإنَّ الطريدة تتهيّأ هي الأخرى من خلال استشعارها الخوف عن طريق الغريزة، وهذا الخوف هو الذي جعلها تتهيّأ من أجل الاستعداد للفرار، ولهذا فالحيوان يستمدّ تهيّؤه من غرائزه، أمَّا الإنسان فتهيّؤاته مرتبطة بالعقل الذي به يتطلَّع إلى المستقبل ويُميِّزَ بين ما يجب الإقدام عليه دون تأخير، وما يجب الإحجام عنه دون تردّد.

ولأنَّ التهيّؤ البشري لا يكون إلَّا عن دراية ووعي؛ فإنَّ الدّراية والوعي تستدعي تقدير الآخر واستيعابه، وتفهُّم ظروفه التي تتغيَّر مع تغيُّرات العصر والتطوُّرات التي بها يندفع إلى الأمام، لذا فوقت الفراغ عند الشّباب ما لم يُملأ بدراية لابدَّ أن يُملأ بغيرها، وهنا قد تتولّد التأزُّمات بين من يدري ولم يتهيّأ لذلك، ومن لا يدري فلم يضع اعتبارا للآخرين. لذلك ينبغي أن يكون وقت الفراغ مهيّأ للنّفع لا للضّرر؛ فإذا لم يُحسَن استغلال أوقات الفراغ فإنّها تتحوّل إلى معطية لتدمير طاقات الإنسان، كأن يلجأ الشّباب إلى تعاطي المخدّرات، وتناول المسكرات، ممّا يجعلهم على حالة من القلق والملل والتوتّر، وإلى كلِّ ما من شأنه أن يؤدّي إلى الانحراف أو التطرُّف.

ولذلك فالتهيؤات تتقابل في مساحة الحيرة العقلية والفكرية؛ فتتغلّب الواحدة على الأخرى في دائرة الاختيار؛ فيكون الظهور بما هو مقنع للأنا وقد يكون مرضي للغير أيضا، كلّ حسب معاييره المستخدمة في عملية القياس الممكّن من المعرفة عن بيّنة.

وعليه لا عمل ينفع إلَّا بعد تهيّؤ للبناء والإعمار والإصلاح، ولا علم ينفع إلَّا بعد تهيّؤ لِما هو أعظم، ولا تربية تنفع إلَّا بعد تهيّؤ بالفضائل الخيِّرة والقيم الحميدة التي يرتضيها النَّاس لتهذيب الأخلاق وتقويم السّلوك، وبناء القدوة الحسنة المتّعظة والمتهيئة لأن توعظ الآخرين عن حُسن سيرة ودون أيّ إكراه.

فالتهيّؤ قوّة دافعة تجاه ما يجب من وجهة نظر المتهيّئ، وهو تحفُّز لإظهار ما هو متهيّئ للظّهور حتى يصبح بين أيدي النّاس قابل للمشاهدة والملاحظة، وهنا فالتهيّؤ هو الحالة التي يبدو عليها المخلوق في حالة امتداد تجاه الآخر في دائرة الممكن الموجب والسّالب (المتوقّع وغير المتوقّع).

صور التهيؤ:

للتهيؤ صورتان رئيستان هما:

- التهيّؤ القبلي: وهو الذي لم يسبق لأحدٍ أن تهيأ به، إنّه تهيّؤ الإبداع، إبداع شيء لم يسبق وجوده؛ فاكتشف بأسباب الحاجة بعد تَمكُّن وغوص وبحث وتقصي مُعمَّق.

ولأنَّ التهيؤ دائما يسبق العمليات الفكرية؛ فهو المحفّز على إبداع الجديد، ومن هنا يظهر التنافس بين المتنافسين في أخذ السّبق ليكون الإبداع حقّ لمن سبق غيره إبداعا.

التهيؤ القبلي يسبق الصّورة، أي أنّه المؤسّس لها؛ فالصورة أو الشّكل الذي نحن عليه كان متهيّئا لدى الخالق قبل أن نخلق، وهكذا كلِّ ما خلق كان التهيّؤ سابق له ولأنَّ الأمر كذلك؛ فكل متهيّئ بالأمر كن، يكون صورة بإصدار أمر الكينونة التي يكون عليها متهيّئا.

ولأنّ العقل هو مركز التهيؤ، وأنّ التهيؤ يحفّز على التدبّر، لذا تظهر العلاقة بين من فكّر حتى تهيأت له صورة المتهيء مع أنّها لازالت مختفية في الذّهن، كونها لم تر الشّمس بعد، ومن يتهيأ عقله إلى استقبالها هيئة كما ظهرت في ذهن وعقل صاحبها الذي كان له السّبق في كشفها معرفة، لينقلها من الهيئة الذّهنية إلى الصّورة والشّكل المشاهد والملاحظ مع كشف قوانينها العلمية والعملية.

فنحن بنو آدم خُلقنا لنفكّر حتى نتبيّن؛ فإن تبيّنا فهمنا وعرفنا وارتقت عقولنا لمعرفة المزيد حتى وإن كان مجرّدا، ومع أنّنا لا نخلق،

ولكنّنا نستطيع أن نصنع من الشيء المخلوق أشياء تُخلق، فمتى ما تهيئت الأشياء في عقولنا إبداعا، ابدعناها شكلا أو صورة، ولهذا دائما التهيؤ يسبق الأشياء وجودا، فنحن لا نخلق (لا نصنع) شيئا إلَّا بعد تهيّؤ صورته لنا قبل أن يكون صورة ماثلة وظاهرة للعيان. ولهذا؛ فالتهيّؤ سابق على القول والفعل، وبدونه لا يكون القول ولا الفعل، وبذلك محدث التهيّؤ هو محدث الفعل والنُقلة.

. التهيّؤ البعدي: هو ذلك التهيؤ الذي يلاحق المخلوق مشاهدة ويلاحق المنتج إبداعا، إنّه تهيّؤ استدعائي، أي أنَّ المعرفة قد سبق تلقّيها، وبالتّالي يمكن أن يتمّ استدعاؤها؛ فتستدعى سواء أكانت معلومة أم صورة أم شكل من الأشكال التي وجدت الأشياء عليها مختلفة، أي يُمكن أن تكون الأشياء السّابقة في الذاكرة؛ فتستدعى بما يجعلها دليلا شاهدا بين النّاس الذين من حقّهم أن يخضعوها للاختبار والقياس والمنطق الذي يقبلها حجّة إن كانت لها مصادق، وفي المقابل يواجهها بحجج إن كانت على غير مصادق تثبتها سابقة علمية (إضافة جديدة).

ومن هنا؛ فالبحث في مفهوم التهيّؤ لا يُعدّ من علم ما وراء الطبيعة وإن كان يدخل فيه شيء من ذلك، إلَّا أنّه بحث في التجريد، وإن كانت مرتكزاته واقعية، وطالما أنّه تجريدي؛ فإنّه يحتلّ المكانة الوسطى بين الواقعي والميتافيزيقي.

ولذا فإنَّ حدود معرفة التهيّؤ، تتوقّف على مستوى ملكات العقل، وبما أنَّ الملكات العقلية متفاوتة من شخص لآخر من حيث القدرات، ومتباينة من حيث الأفكار والمعلومات، التي تعتبر أساس البحث في مفهوم التهيّؤ، لذلك يكون الاختلاف في التصوّرات لدى النّاظرين فيه وفق ما يحمل هذا النّاظر أو ذاك من أفكار تنجلي له تصورات التهيّؤ في نفس المتهيئ، لمن يريد أن يقف على التهيّؤ، وهذا لا يغيّر من نفس التهيّؤ في نفسه شيئا، بمعنى أنَّ تصورك لحقيقة ما، لا يغيّر من حقيقة هيئتها شيئا، وإن تغير منها ما تغيّر فلا تكون تلك الحقيقة هي الحقيقة.

ففي قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ}7، يظهر موسى عليه الصّلاة والسّلام متهيّئا لتلقي الأمر من ربّه، ومتهيّئا للطريقة التي يتمّ بها كشف الجريمة، لذلك كان جوابه (أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ) بينما قومه الذين لم يصلوا إلى مرحلة التهيّؤ بهذه الطريقة في إحياء الموتى (قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا) ثمّ بعد ذلك طلبوا توضيحا يبيّن لهم معلومة تأهلهم للتهيّؤ، قال تعالى: {قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ}8؛ فلمّا لم يصلوا إلى تلك المرحلة استزادوا: {قَالُوا ادْعُ

[7] البقرة 67

[8] البقرة 68

لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا}9؛ فلم يزل يزدهم إلى أن وصلوا إلى حالة التهيّؤ، أمَّا تهيّؤ موسى عليه الصَّلاة والسّلام؛ فهو ثابت على حقيقته قبل تهيّؤ قومه وبعد تهيّوئهم.

إنَّ الوقوف على حقيقة التهيّؤ وهيئته التي يقوم عليها، تتوقّف على معرفة المصادر المغذّية له، والفلك الذي يدور فيه؛ فمدار فلكه يكمن بين العقل والقلب والرُّوح والنّفس، ومصادر تغذيته هي الأفكار والعواطف والانفعالات والغرائز بصرف النّظر عن سلبها وإيجابها.

ومن ثمّ؛ فكلّما توافرت الأفكار والحجج تجاه القضية الخارجية، كانت استجابة التهيّؤ للحدث أسرع، وإذا تضاءلت الأفكار أو انعدمت، كانت عملية التهيّؤ متباطئة لحين استجماع الأفكار عن الحدث الخارجي الذي نقف عليه من خلال قوله تعالى: {وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى}10، لقد كان التهيّؤ من موسى عليه الصَّلاة والسّلام للإجابة عن منافع العصا وفوائدها! إلَّا أنَّ تحولها المفاجئ إلى أفعى، دفع عاطفة الخوف للسّيطرة على العقل، عند ذلك تسمح الإرادة بالوصول إلى غريزة الفرار، غير أنَّ قوله تعالى

---

[9] البقرة 69

[10] طه 18-21

(خُذْهَا وَلَا تَخَفْ) ولّد تهيّؤا آخر لتحوّل الأفعى إلى عصا مرّة أخرى؛ فهذه العصا ليست كبقية العصيّ، وإنّما قد هيّأها الله تعالى لموسى عليه الصّلاة والسّلام، لإظهار المعجزات من آيات الله تعالى، ومن جانب آخر هو تهيئة لموسى، لأنَّ هذه العصا سوف يكون لها شأن كبير بما هي مهيّأة له، ذلك أنَّ الموقف مع سحرة فرعون يحتاج إلى هذا النّوع من التهيّؤ، قال تعالى: {قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى}[11]، لقد كان موسى، مهيّأ للحدث وإن كان لا يعلم ماهيّته قبل حدوثه؛ فعندما خيروه بَيْن أن يبدأ فيلقي عصاه، أو أن يكونوا البادئين، وطلب منهم أن يكونوا أوّل من يلقي الحبال والعصي دليل على التهيّؤ لهم، وهو لم يحسّ الخوف من العصي والحبال التي انقلبت إلى ثعابين، ولكن من المحتمل أن يتلبس السّحر على النّاس بالمعجزة؛ فألقى موسى عصاه؛ فإذا بها تنقلب بقدرة الله حيّة كبيرة مخيفة لأنّها مهيّأة لهذا الانقلاب، وهو أيضا مهيّأ لتحوّلات العصا، وليس كالمرّة الأولى (خُذْهَا وَلَا تَخَفْ) وإنّما الآن أصبح لديه تهيّؤ كامل، وابتلعت كلّ

[11] طه 65- 70

ما أعدّوه؛ فلمّا رأى السّحرة تلك المعجزة بادروا إلى السّجود موقنين بصدق موسى عليه الصّلاة والسّلام، وهذا ما هيأهم الله إليه، وهكذا بالتهيؤ تحدث الأشياء أو تُصنع.

ولم تكن العصا مهيّأة لأن تنقلب أفعى فقط، وإنّما كان لها تهيّؤات مختلفة أوجدها بها المهيىء عزَّ وجلَّ حيث قال: {وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كلّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ}12؛ فأيّ عصا تضرب حجرا حتّى ينفجر منه اثنتا عشرة عينا لو لم تكن مهيّأة لهذا الأمر، ذلك أنَّ قوم موسى أشرفوا على الهلاك من العطش وهم في صحراء سيناء، ولما لم يجدوا ماء، وشكوا ذلك إلى موسى، أمرَه الله أن يضرب الحجر بعصاه؛ فانفجر لهم الماء.

وأعظم من هذا هو تهيّؤ هذه العصا لفلق البحر وفرقه حتّى ينجو بقومه عندما اتبعهم فرعون وجنوده، حيث قال تعالى: {فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ}13؛ فعندما ضرب البحر بعصاه، انفلق البحر إلى اثني عشر طريقا بعدد طوائف بني إسرائيل، وكان كلّ طريق من هذه

---

[12] البقرة 60

[13] الشعراء 61- 63

الطرق حاجزا من الماء كالجبل العظيم الثابت الذي لا يطغي واحد منها على الآخر؛ فهذا تهيّؤ عصا موسى عليه الصَّلاة والسّلام.

وعليه: التهيّؤ هو مزيج من الوعي والمعلومات والأفكار وأشياء فطرية، وما لها من علاقة وطيدة مع العواطف والأحاسيس؛ فالتهيؤ في نفس العاقل هو حالة من انعكاس الإدراك على الشّعور الدّاخلي (الوجدان) من قضية خارجية؛ فالإنسان يمتلك مزيجا من القوى العقلية والجسمانية والرّوحية في آنٍ واحدً، وهي كذلك في ذات الوقت حالاته في لحظة التهيّؤ المطلق قبل الاستعداد لأيِّ فعل، من خلال التوتّر المتناسق لقوى العقل والجسد والرُّوح معا؛ فتكون على هيئة قادرة على بدء الاستعداد متى شاءت وأين شاءت.

كما يكمن التهيّؤ لدى الإنسان في العواطف التي لها صلة وثيقة بالغرائز؛ فالعاطفة هي التي تنشّط الغريزة، وتجعل الإنسان في وضع التهيّؤ، أمّا تجاوز التهيّؤ إلى الاستعداد وخروج الاستعداد إلى الفعل فهذا أمر تتحكّم فيه الإرادة نتيجة الاستنتاج.

ونستطيع أن نحدِّد لحظة التهيّؤ من خلال العلاقة القائمة بين العقل والعواطف، إذ إنَّ التهيّؤ لدى الإنسان يكمن في المساحة الحرّة بين العقل والعاطفة، وذلك عندما تستثار الغريزة بدفع من العاطفة، وهنا يكون الإنسان في وضع التهيّؤ، والذي يحجب التهيّؤ عن

الاستعداد وصولا إلى الفعل هي الإرادة التي تتحكّم به لحين اتخاذ القرار الذي يسعى به إلى عملية التنفيذ والعمل.

وأمّا مصدر التهيّؤ بالنّسبة للعاقل؛ فهي الأفكار المكتسبة المكوّنة للعقل، إذ إنّ العقل هو الاتزان في سلسلة الأفكار السّالبة والموجبة، كما أنّ الإرادة هي سلسة الأفعال المماثلة سلبا وإيجابا؛ فالإرادة هي التي تجعل من الإنسان راغبا أو رافضا وبلا ضغوط.

ولذلك فالأفكار هي التي تغذي العواطف، وكلّما تكاثرت الأفكار في قضية ما، اشتدّت العاطفة ودفعت الغريزة إلى ممارسة نشاطها، وممارسة نشاط الغريزة بدفع من العاطفة انطلاقا من الفكرة يؤدّي إلى التهيؤ من أجل ما يمكن أن يفعل.

لذلك نقول المتهيّئات كامنة في العواطف بتعدُّد الأفكار؛ فعندما يكون العقل في أوجّ نشاطه يسيطر على عواطفه، ويجعلها في حالة سبات، بحيث لا نشعر بوجودها، وأمّا إذا اشتدّت العواطف فإنّها تستدعي معظم أفكار عقلها الخاصّة بالحدث بمؤثّرات خارجية عن طرق الإدراك الذي ينعكس شعورا داخليا يؤجّج العاطفة بحيث تصبح أكثر نشاطا من العقل.

فنشاط العواطف يُضعف من نشاط العقل قدرا يناسب قوّة العواطف، وكذلك العقل يُضعف من نشاط العواطف درجة تناسب

قوّته ونشاطه، وعند صرف النّظر عن الفكرة المنشِّطة للعاطفة تتلاشى في العقل وتهدأ العاطفة فيزول التأثير على الغريزة التي دفعت التهيّؤ للظّهور إلى حين ظهور المؤثّر الخارجي مرّة أخرى أو استدعاء الفكرة من الحافظة عن طريق الذاكرة.

إنّ السبب في قوّة العقل وسيطرته على عواطفه هو ذوبانها فيه، وذلك عندما يمتصّ قوى تلك العواطف الفكرية، كما أنَّ سيطرة العواطف على العقل وتغلّبها عليه، هو ذوبانه فيها بامتصاصها أغلب أفكاره المقيِّدة للإرادة، ولحظة الصّراع الناتجة عن الأفكار بين العقل من جهة والغريزة بدافع من العاطفة من جهة ثانية إنّما هي لحظة التهيّؤ الذي يواجه حاجز الإرادة التي هي مرحلة بعد التهيّؤ؛ فلا تهيؤ إلَّا بإرادة، ولا إرادة إلَّا بتهيؤ، ولكن يظلُّ لكلِّ مصطلح خصوصية في المعنى والدّلالة حتَّى وإن اشترك مع غيره أو اتّحد؛ فالإرادة قرار والتهيّؤ تحفُّز للقول أو الفعل الذي بشأنه يتّخذ القرار.

ولذا فالتهيؤ دائما يسبق حتَّى يدفع لاتخاذ القرار الذي بدوره طبيعيّا لا يتخذ إلَّا بإرادة؛ فالتهيّؤ للقول يؤدّي إلى الاستعداد لأن يقال بإرادة. والتهيّؤ للفعل يؤدّي إلى الاستعداد لأن يفعل. ولكن ليس دائما الاستعداد وإن سبقه تهيّؤ يؤدّي إلى القول أو الفعل، وذلك بأسباب حدوث الاستجابة قبل القول والفعل، كأن ينتقل الخصم الذي بسببه كان التهيّؤ والاستعداد للانتقال تفاديا لتوتّر المواقف التي لا تحمد

عقباها، أو لحدوث غير المتوقّع في الزّمان والمكان المفاجئ، وأن يتمّ التّسامح في دائرة الاعتراف بالذّنب ووجوب المغفرة والتّسامح، أو أن يحدث الله أمرا، قال تعالى: {وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ}14.

وهذا ما يفسّر لنا قوّة العقل بعد تسلّطه على العاطفة وفرض سيطرته عليها، وكذلك العواطف أقوى ما تكون عندما تكبح جماح العقل وتحجّمه وتخضعه لسيطرتها؛ فيفسح المجال أمام الغريزة، وفي هذه اللحظة أعظم ما يكون التهيّؤ على أشدّه عندما يصطدم بالإرادة التي هي باب الأفعال في الكبح أو السماح، ولولا فرض العقل سيطرته على العواطف لما كان له النشاط المعهود من الحدّة والانتباه بعد تسكين العواطف واختفائها مؤقّتا كونها لازالت قابلة للمستفزات العقلية.

وعندما يأخذ من نشاطها تزداد ضعفا ويزداد هو قوّة وانتباها. هذا التبادل العكسي بين العقل والعاطفة إنّما جاء نتيجة المادّة المشتركة التي تغذي كلّا منهما على حدٍّ سواء، ألا وهي الأفكار، ويتجلّى ذلك في اتّحاد العقل والعاطفة، أو موافقة العقل للعاطفة كالحبّ والرّحمة مثلا، لأنَّ المنطق يفرض التّطابق الإيجابي، ولذلك يكون الإنسان سريع الاستجابة في مثل هذه المواقف لتطابق العاطفة والعقل في حال الاستنتاج الإيجابي؛ فتسمح الإرادة للتهيّؤ إلى أن يخرج إلى الفعل على وجه السّرعة، على العكس من المواقف التي يكون الاستنتاج فيها

[14] الشورى 17.

سلبي، أو ضرر يعود على الإنسان، لذلك يتأخّر اتخاذ قرار الإرادة بسبب التردّد، لأنَّ العقل يستغرق في الاستنتاج للوقوف على إيجابية النتائج، وفي هذا الموقف يكون التهيّؤ في أطول أعماره إذا قسنا ذلك بالزّمن، قبل أن تخمد العاطفة أو تسمح الإرادة بخروج التهيّؤ إلى الاستعداد تلبية لنداء الغريزة.

ويتّضح التهيّؤ بوضوح العلاقة بين العقل والعاطفة والغريزة؛ فالجوع مثلا يؤدّي إلى سيل اللعاب وارتخاء المعدة، وهو تهيّؤ ناتج عن الجوع، وعاطفة الحزن عند اشتدادها تدفع غريزة البكاء للتهيّؤ، وكذلك عاطفة الفرح والسّرور تُهيّئ غريزة الانشراح والابتسامة والضّحك والانبساط، ولكنَّ العاطفة تدفع الغرائز إلى التهيّؤ، وهنا يتدخّل جزء من العقل وهو الإرادة في السّماح أو عدمه بالخروج لهذا التهيّؤ إلى وضع الاستعداد ثمّ إلى الفعل.

فالإرادة تقف حاجزا أمام التهيّؤ، ثمّ تبدأ ملكات العقل بالتذكّر واستدعاء المعلومات من الذّاكرة، وتبدأ عملية مقارنة بين مخزونات العقل مع وضع التهيّؤ، ومن ثمّ تَعرُض هذا التهيّؤ على تلك المعلومات التي استدعتها الذّاكرة من الحافظة عن طريق التذكّر، وتبدأ عملية البحث عن القيم، بين حلال وحرام، ومكروه ومباح أو مرفوض...إلى آخر ما هنالك، وهنا يتكوّن الاستنتاج الذي تصل فيه الإرادة إلى قرار، إمّا بالسّماح لهذا التهيّؤ بالخروج لوضع الاستعداد،

ومن ثمّ مباشرة الفعل، أو كبح جماح العاطفة الذي يؤدّي إلى تهدئة الغريزة، ويتمّ العدول عن القرار بسبب الاستنتاج، وبهذا يزول التهيّؤ المتكوّن لفعل قد أريد.

والتهيّؤ في حدِّ ذاته معجزة من المعجزات الدّالة على قدرة الخالق القادر؛ فبالتّأمل في كلِّ ما حولنا نرى أنّه مهيّأ من قبل الواحد الأحد لاستقبالنا نحن البشر، ومهيّأ كذلك ليكون مسخّرا ومذللا لإرادتنا؛ فلو لم يكن ذلك التهيؤ من الله تعالى، هل كان بإمكان شيءٍ الاستقرار على سطح الأرض، أو أنْ يتم اكتشاف المزيد؟

وهل كان لنا نحن البشر من قهر هذه الأرض بالحفريات وشقّ الطّرق بناءا وتعميرا وزراعة وغيرها من عمليات الإعمار والتعمير؟ وما نحن بالنّسبة للأرض إلّا كذرّة صغيرة من ذرّاتها، وما قدرتنا وقوّتنا بالمقارنة مع قوى الطّبيعة إلّا كقوّة طفل صغير مع قوّة جمل ضخم أو فيل؛ فما الذي جعل الأرض تلين لنا، وتستجيب لإرادتنا لولا تهيئها من الله لنا؟

وهذا ما يتّضح من قوله تعالى للملائكة: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا

وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ}[15].

وهذا يعني أنَّ الله عزَّ وجلَّ خلق كلِّ شيء في هذا الكون متهيّئا لما أراد الله تعالى أن يكون عليه، أو لأداء المهمّة التي أرادها الله من خلقه قبل أن يخلقه.

فلقد خلق الله تعالى الأرض وجعلها مسكنا ومستقرا للإنسان فترة معينة، وذلك بعلمه المطلق وقدرته التي لا حدّ لها؛ فجعلها مهيّأة لذلك كي يعيش عليها، وهيّأ الإنسان نفسه لهذه الحياة؛ فالأرض مهيّأة لاستقبال الإنسان وسائر الكائنات الحيّة الأخرى وفقا للآتي:

- نظام الجاذبية الذي تسير عليه الأرض؛ فلولا هذه الجاذبية لما استقر شيء على وجه الأرض، ولما استطاع الإنسان أن يسير على وجهها ويتحرّك بكلّ يسر وسهولة في التنقّل.

- مهّد الخالق لنا هذه الأرض؛ فلم يجعلها جبالا متّصلة ببعضها البعض؛ فيعجز الإنسان عن المسير والحركة، وكذلك جعل فيها زوجين من كلِّ شيء لكي يهيئ الله تعالى الإنسان لفكرة الزّواج

[15] البقرة 30.

والتكاثر، قال تعالى: {أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا}16.

- هيّأ الخالق الأرض لتهيئة الإنسان لإعمارها والإصلاح فيها، والمحافظة على ينابيعها، ونباتها، وشجرها، ومناخها، وكائناتها المتنوّعة؛ فهي مهيّأة في طبيعة خلقها بكلِّ مقومات الحياة التي أراد المهيّئ المطلق أن تنشأ عليها؛ ففيها من المياه التي منها يكون كلّ شيء حيّا، قال تعالى: {أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كلِّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ}17، وفيها الأكسجين الذي يتنفّسه كلّ الأحياء على وجهها، وفيها من الأملاح والمعادن ما يحيا به النّبات باختلاف أنواعه الذي يحيا عليه الإنسان والحيوان، وجعل فيها الجبال رواسي حتّى لا تميل، وتبقى ثابتة مستقرّة وجعل لهم فيها سُبلا وطرقا ممهّدة ليتمكّنوا من السير عليها بيسر وسهولة.

فالأرض مهيّأة من الله تعالى المهيّئ المطلق للحياة، ولكنّها ليست معدّة للزّراعة؛ فيأتي بعد ذلك الإنسان المستخلف فيها والمكلّف بإعمارها من أجل أن يعدّها للزّراعة وفقا لحاجاته ومشبعاتها في دائرة

[16] النبأ 6، 8.

[17] الأنبياء 30،31.

الممكن؛ فيعمل على حفر الآبار، كما يعمل على تسويتها وحراثها وتسميدها، ثمّ يزرع فيها ما أراد من البذور، ثمّ يتوافق تهيّؤ الأرض للحياة مع تهيّؤ البذرة أيضا للنمو والاستفادة من الأرض؛ فتخرج بذلك النباتات بأشكالها وأنواعها، وهنا؛ فالتهيؤ هو تحفُّز لإظهار ما هو متهيّئ للظّهور وفقا لأمر الله ووفقا لما يبذل من جهد إعماري وفلاحي وصناعي.

- هيّأ الشّمس للقيام بالوظائف التي أرادها منها، وهي إعطاء الضوء المناسب للحياة على هذه الأرض، وكذلك الحرارة المناسبة لاستمرارها؛ فهي ليست بالمحرقة ولا المجمّدة لبعدها، وكذلك تقوم بقتل الكثير من الميكروبات والبكتيريا التي لا ترى بالعين، والتي قد تسبّب الأمراض للإنسان والحيوان، وهذا في حدِّ ذاته تهيئة للأرض لتستقبل الإنسان الذي خلقه الله في أحسن تقويم وأراده أن يكون خليفة عليها، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويستمدّ العبر والمواعظ من التاريخ من أجل حاضر فيه الحاجات المتطوّرة تُشبع والمستقبل يُصنع.

- كذلك تتابع الليل والنّهار بانتظام هيّأ للإنسان نظام حياة مريح يستطيع من خلاله تهيئة نفسه للعمل والرّاحة كما جاء في قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي

ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ}18، وكذلك قوله تعالى: {وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا}19.

والتهيّؤ من حيث الثبات المطلق والنّسبي يرتبط ارتباطا كبيرا بالمهيّئ نفسه؛ فعندما يكون المهيّئ هو المهيّئ المطلق الله عزَّ وجلَّ؛ فلا بدَّ وأن يكون التهيّؤ تهيّئا ثابتا لا يتغيّر بتغير الزّمن والظّروف؛ لأنَّه تعالى هو العالم المطلق والخالق المطلق الذي لا يمكن أن يغفل عن شيء ثمّ يصححه بعد ذلك، وهو الذي لا يمكن أن يختلف شيء عمّا أراده بسبب تغيّر الظّروف والزّمن المحيطين بذلك الشّيء الذي هيّأه الله لما أراد أن يكون عليه أو يكون منه، قال تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ. الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ}20.

وعندما يكون المهيّئ هو المهيّئ بالإضافة (الإنسان) فبكلِّ تأكيد سيكون التهيّؤ ثباته نسبي، وذلك بسبب قصور علمه وتفكيره وقدراته المحدودة؛ فيكون من الممكن أن يختلف الشيء عمّا هيّأه له المهيّئ بأسباب التعلّم والمعرفة.

---

18 يونس 67.

19 النبأ 10، 11.

20 الملك 1. 3

فليس هناك إنسان يخلو من التهيّؤ لأيّ فعل من حيث الوعي أو عدمه، وهذا التهيّؤ لا نقول أنَّه ملازم للإرادة، وإن كان يأتي قبلها من حيث الرّتبة، وتكون العلاقة بين التهيّؤ والإرادة متوالية إلى درجة، بحيث إنّ أيّ قرار للإرادة هو مبني على التهيّؤ والإنسان كونه مريدا بالصّفة النسبية؛ فهو متهيّئ لما يريد، والعلاقة بين التهيّؤ والإرادة هي علاقة طرديّة متنامية، بصرف النّظر عن نتائج قرار الإرادة، وذلك لتباين المؤثّرات النفسية والعقلية من إنسان إلى آخر، وذلك بسبب تباين مفاهيم القيم ومفاهيم الثقافة والمعرفة الواسعة والخصوصيات التي عليها النّاس اختلافا.

ولتقريب مفاهيم اختلاف التهيّؤ من إنسان لآخر، ومن مجتمع لآخر، نقول: إنَّ هذا الأمر قائم على اختلاف المؤثّرات من القيم والأخلاق والعادات والتقاليد والقوانين الشرعية والوضعية، وما ينعكس في النّفس الإنسانية من مؤثّرات البيئة سواء أكانت الطبيعية أم الاجتماعية، بحيث يظهر أثر هذه المؤثّرات على الجوانب النفسية والعقلية في تشكل التهيّؤ لدى الأفراد في مجتمع معين، أو التباين بين مجتمعين نتيجة تلك المؤثّرات.

ولتوضيح التباين بين مجتمعين في تشكُّل التهيّؤ نقول مثلا: إنَّ مصطلح الإرهاب غير مفهومه، فما يسوّق اصطلاحا للإرهاب لا علاقة له في اللغة العربية والدّين الإسلامي من قريب ولا من بعيد

بالمفهوم الدلالي للإرهاب، وهنا تكمن مشكلة تستوجب التصحيح والتصويب أو على الأقل التنبيه إليها ولفت الانتباه حتى لا يؤخذ أحد بذنب أحدٍ.

في اللغة العربيّة والدّين الإسلامي الإرهاب فعل مترتّب على إعداد العدّة المضادّة للعدّة والمتماثلة معها في القوّة، والأخذ به واجب طاعة لأمر الله الذي لا يُقرّ ظلما.

أمّا لدى أهل الغرب؛ فإنَّ الإرهاب هو فعل مخيف للآمنين، والقانون يُجرمُ مرتكبيه، وهو ما يرتبط بالفعل المضاد لاستقرار الأمن واحترام حرّيات الآخرين، وهذا الأمر يقرّه الدّين الإسلامي حيث لا إكراه في الدّين، {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ}[21].

إذن المدى بين اللغة العربيّة والدّين الإسلامي، وبين اللغات الغربية مدى جعل الهوة متّسعة دلالة ومعنى، ولهذا فالمصطلح الذي يُقرّه أهل الغرب للإرهاب لا علاقة له به، وفي اعتقادنا كلا الطّرفين على حقّ، من حيث إنَّ:

ـ لغة العرب: لا تُقرّ الإرهاب وفقا للمصطلح الذي تُقرّه اللغة الغربيّة، ولهذا لم يأخذ العرب بمصطلح الإرهاب كما يراه أهل الغرب،

---

[21] البقرة 256.

وفي مقابل ذلك لم يأخذ أهل الغرب بمصطلح الإرهاب الذي تُقرّه اللغة العربيّة والدّين الإسلامي. ولهذا وجب الالتقاء لصوغ المصطلح الحلّ.

. المسلمون: دينهم حدّد لهم ماذا يعني الإرهاب دلالة ومعنى، ولهذا فهم لا يرون الإرهاب والأفعال الإرهابية هي ما يقصده ويُفسّره أهل الغرب، ولذا فهم لن يأخذوا بغير ما يرونه أمرا بالنسبة لهم كمسلمين طائعين لأمر الله الذي أمرهم بإعداد العدّة المرهبة للعدو، وليس المرهبة لغيره، مصداقا لقوله تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ}22.

. أهل الغرب: هم الذين يجرّمون الأعمال الإرهابية ويلاحقون أصحابها سواء أكانوا من أهل الشرق أم من أهل الغرب ولا فرق في ذلك. ولكن ما يلاحقون بأسبابه من يلاحقون في حقيقة أمره لم يعدّ ذلك المقصود بمفهوم الإرهاب في اللغة العربية والدّين الإسلامي، بل هو تلك الأعمال والأفعال التي تجري بهدف التخريب والتدمير وسفك الدّماء المحرّم سفكها بغير حقّ، وهذه الأعمال والأفعال لا يُقرّها الدين الإسلامي ولا تعرّفها اللغة العربية بالإرهاب، بل تُعرّفها بالأعمال المفسدة في الأرض، وهذه الأعمال حرّمها الدين الإسلامي ونهى عنها،

[22] - الأنفال 60 .

مصداقا لقوله تعالى: {مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا}[23].

ولذا فإنَّ تهيّؤ المجتمع المسلم يختلف في هذا الموقف ويصطدم معه لتباين التهيّؤ بين المجتمعين؛ فهو يأبى هذا النّوع من الفعل لأنَّه مهيّأ من خلال الدّين والعقيدة والشرع الذي يحرّم قتل النفس ظلما.

فالمجتمع المسلم لديه تهيّؤ عقائدي ونفسي وذهني وعضوي، بأن تتّخذ الإرادة قرارها وفق هذا التهيّؤ إذا ما وضع أمامها الموضوع.

إذن هذا التهيّؤ في المجتمع المسلم هو إحدى خصائص الإنسان الذي خُلق في أحسن تقويم، وكلّ ما يخالف ذلك ليس من الإسلام في شيء.

وعليه أتساءل:

. ما هي مكونات التهيؤ؟

. من أين يستمدّ التهيّؤ؟

. ما هي عناصر التهيّؤ؟

[23] المائدة 32.

إنَّ التهيّؤ لدى الإنسان يعتمد على سلسلة العلاقات المترابطة بين أشياء ماديّة وقضايا عقليّة وانفعالات عاطفيّة ومسائل روحانيّة، وبتلاقح البعض منها مع البعض الآخر يتولّد نوع معين من التهيّؤ في اتجاه معين قابل للخروج إلى مرحلة الاستعداد بهدف ممارسة الفعل، ولذا لا يمكن أن يكون أحادي المصدر، إذ أنّ التهيّؤ الإنساني لا يتكوّن إلَّا من عنصرين على الأقل ممّا ذكرنا، حيث إنّ مكونات التهيّؤ كما سبق ورودها هي:

- مادية، وهي الأداة.
- عقلية، وهي سلسلة الأفكار.
- نفسية، وهي انفعالات العواطف.
- روحية، وهي يقينيات الإيمان القلبية.

ولا يمكن أن تستكمل متمِّمات التهيّؤ للإنسان إلَّا بوجود التهيّؤ المادّي، ذلك لأنَّه الأداة المنفّذة لقرار الإرادة.

أركان التهيّؤ

للتهيّؤ أركان وهي:

أوّلا – مهيّئ: وهو الذي يقوم بتهيئة الأشياء للقيام بما أراد لها أن تقوم به، أو لما أراد أن يفعل هو بها؛ فالله سبحانه وتعالى هو المهيّئ

المطلق لكلِّ ما في الكون من مخلوقات من أجل ما أراد أن يكون كما أراد هو؛ فالملائكة مهيّأة لأن تكون على طاعة الله وتقوم بكلّ ما أمرها به من توزيع أرزاق وحفظةٍ وكتبةٍ وحملة عرش وغيرها من الأعمال التي يريدها عزَّ وجلَّ منها، والذي هي من الطبيعة التي هيّئت عليها، وليست مهيّأة للمعاصي وعدم الطّاعة، قال تعالى: {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ}24.

- المهَيَّأ: وهو من يقع عليه فعل التهيّؤ من المهيّئ من أجل فعل الفعل أو الغرض الذي يُراد منه.

- مهيّأ له: وهو الذي حصل من أجله التهيؤ؛ فالخليفة مهيّأ لأن يصلح الأرض ويعمّرها بعبادة الله وطاعته واجتناب نواهيه وهكذا، وهي مهيّأة كذلك لأن تستجيب لكلِّ رغباته، وتكون مستقرّا له ومستقرّة كذلك؛ فلا تثور عليه إلّا عندما يريد منها المهيّئ المطلق ذلك.

- مهيّأ به: وهو ما يتمّ به تهييئ الشيء لاستقبال المهيّئ له أو للقيام بالشيء المهيّأ له؛ ومنه على سبيل المثال:

- المهيّئ المطلق الله تعالى.

- المهيأ بالإضافة (الإنسان).

---

24 الانفطار 10، 11.

- والمهيّأ له هو استخلاف الإنسان في الأرض.

- والمهيّأ به هو ما منحه الله من عقلٍ وقدرةٍ وإرادةٍ وخلقٍ في أحسن تقويم، وهذا يعني بالضّرورة أن يكون الإنسان في أحسن تهيّؤ للمهمّة التي أُنيطت به، مع العلم أنَّ الإنسان مهيّأ لأن يفعل الطّاعات ومهيّأ أيضا لأن يفعل المعاصي؛ فكما هو مهيّأ أن يحيي نفسا فهو مهيّأ أيضا لأن يقتل نفسا، ولكن من يقتل النّفس بغير حقّ لا يمكن أن يكون مهيّئا لأن يكون من الخلفاء الذين عناهم الله بقوله: {إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً}25، أمَّا الخليفة فهو مهيّأ من الدّاخل بأن يقاوم وسوسة الشيطان، وغضب النّفس فلا يقتل النّفس بغير حقّ ويعمل دائما على التّسامح دون هوان، والمغفرة دون مذلة، والصفح دون ضعف.

كما أنَّ الإنسان الذي خلقه الله تعالى هو أيضا مهيّأ لأن يكون خليفة في الأرض؛ فقد هيّأه المهيّئ المطلق للأفعال التي يريدها منه بعدة أشياء منها:

. العقل، الذي بواسطته يستطيع الإنسان أن يصل إلى حقائق الأمور ويدركها هي كما هي، وبه يفرّق بين الصّواب والخطأ، وعن

[25] البقرة 30.

طريقه يتّخذ القرار بترك الأخطاء وما فيها ضرر له، يغضب الله تعالى الذي استخلفه، وفعل ما هو صواب، يرضي الخالق عزَّ وجلَّ.

. الإرادة، التي بها يفعل كلّ ما يريد، وكلّ ما اتّخذه من قرارات عن طريق العقل سواء أكانت سلبية أم إيجابية؛ فيكون بذلك جزاؤه عليها عادلا لا ظلم فيه؛ فهو قد استحقّه بأفعاله التي اقترفها بمحض إرادته.

. القدرة والقوّة، والتي بدونهما لا يتسنّى له أن يفعل ما قرّره عقله وانعقدت عليه إرادته.

. الضّمير، الذي هو بمثابة الرّقيب على الإنسان والمحاسب له والرّادع عن كلِّ ما من شأنه الإضرار به، وإغضاب الله عزَّ وجلَّ.

. حسن التقويم، قال تعالى: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ}[26]، وهو المتمثّل في هذه الهيئة التي عليها الإنسان من قامة منتصبة، وكل ما جعل له خصوصية متميّزة، ممّا لا يحصى من النّعم والفضائل التي تعينه على أداء رسالته التي كلّفه الله تعالى بها، قال تعالى: {أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمْ مَنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى

[26] التين 4.

صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ}27.

مستويات التهيّؤ:

1- تهيّؤ بمستوى الحدث، حيث قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثمّ اجْعَلْ عَلَى كلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثمّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}28، إنَّ إبراهيم عليه الصَّلاة والسّلام موقن بقدرة الله تعالى لعلمه أنَّ الذي يخلق ويُميت قادر على أن يحيي الموتى، وهذه القناعة إنّما هي تهيّؤ للوقوف على الحدث لعلمه بأنّ الله قادر على إحياء الموتى، ولكنّه طلب من أجل الاطمئنان "أي أبصرني كيفية إحيائك للموتى بأن تحييها وأنا أنظر إليها، إنّما سأل ذلك ليصير علمه عيانا، وقد شرّفه الله بعين اليقين، بل بحقّ اليقين الذي هو أعلى المقامات، والفرق أن علم اليقين هو المستفاد من الإخبار، وعين اليقين هو المعاينة لا مرية فيه"29؛ فالتهيّؤ للفعل الخارق للعادة موجود وقائم في نفسه عليه الصَّلاة والسَّلام، ولولا هذا التهيّؤ لما طلب من الله تعالى مشاهدة عملية إحياء الموتى.

27 الملك 22، 23.

28 البقرة 260

29 تفسير حقي، ح 2، ص 92.

إذن هذا تهيّؤ عن طريق اليقين المتولّد عن الإخبار الذي مكمنه القلب وليس العقل، والسّبب في ذلك أنّك لا تستطيع أن تجمع بين صورة الموت والحياة في وقت واحد، إذ ليس لملكات العقل أفكار عن هذه الصّورة مكتسبة من الخارج، وليس له القدرة على تشكيلها في الدّاخل، أي لا في الذّهن ولا في الواقع، لذلك هذا النّوع من التهيّؤ يقيني عن طريق القلب من جهة الإدراك؛ فقد قال تعالى: {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ}30.

وذِكرُ الصُّدور جاء تأكيدا على أنَّ القلب هو الذي يدرك اليقينيّات وليس العقل؛ فقد قال عليه الصَّلاة والسّلام: "ما من عبد إلَّا وفى وجهه عينان يبصر بهما أمر الدّنيا، وعينان في قلبه يبصر بهما أمر الآخرة، فإذا أراد الله بعبد خيرا فتح عينيه اللتين في قلبه؛ فأبصر بهما ما وعده بالغيب فآمن بالغيب على المغيب، وإذا أراد به غير ذلك تركه على ما فيه"31، ثمّ قرأ {أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}32.

ومثل ذلك أيضا في التهيّؤ بمستوى الحدث قوله تعالى: {إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ

---

[30] الحج 46.

[31] جامع الأحاديث، ج 19، ص 195،

[32] محمّد 24.

السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ}33، عندما سأل الحواريون عيسى عليه الصَّلاة والسّلام هذا السّؤال؛ فما كان منه إلَّا أن قال اتّقوا الله، وهذا دليل التهيّؤ واليقين؛ فهو متهيّء لمثل هذا الفعل، وموقن بأنَّ الله تعالى قادر ومستطيع على أن ينزل عليهم مائدة من السّماء، وأكثر من المائدة؛ فجوابه لهم عليه الصَّلاة والسَّلام، ولّد لديهم تهيّؤا للحدث، بدليل أنّهم أجابوا مباشرة بقولهم: (نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا)؛ فالتهيّؤ الذي تولّد في نفوسهم كان تمهيدا لعذر وبيان الأمر الذي دعاهم إلى السّؤال، وبهذا التهيّؤ أزالوا الشبهة في قدرة الله تعالى على تنزيل المائدة، أو في صحّة نبوة عيسى عليه الصَّلاة والسَّلام، حتَّى لا يقدح ذلك في الإيمان والتقوى.

2- تهيّؤ أعلى من الحدث ومثال ذلك قوله تعالى: {وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاس عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ حتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا

33 المائدة 112- 114

يَشْعُرُونَ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ}[34]؛ فالتهيؤ عند نبي الله سليمان عليه الصَّلاة والسَّلام، أعلى من مستوى الحدث؛ لأنَّه عندما سمعها تبسّم ضاحكا، وهذا التبسّم المباشر دون استغراب هو دليل التهيّؤ المسبق ضمن دائرة الممكن المتوقّع، لأنَّه مهيّأ لمعرفة ما هو أبعد من منطق النّملة؛ فقد أوتي من الله ملكا ما ينبغي لأحد من بعده، وذلك لما علّمه الله تعالى من منطق الطير، وحشر له الجنود من الجنّ والإنس، وآتاه من كلّ شيء ما لم يؤته لأحد من خلقه، لذلك كان التهيّؤ عنده أعلى من الحدث في سماعه ما تقوله النّملة لبني جنسها، لأنَّه مهيّأ لأكثر من هذا وأكبر منه بما آتاه الله من فضله.

وهذا النّوع من التهيّؤ نقف عليه لدى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في غزوة بدر في تثبيت المؤمنين وحثّهم على القتال وتبشيرهم بالنّصر، حيث قال تعالى: {إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آَلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ. بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آَلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ}[35]؛ فالرّسول عليه الصَّلاة والسّلام مهيّأ من ربّه لما في يقينه

---

[34] النمل 16- 19.

[35] آل عمران 124، 125.

من قدرة الله تعالى على الإمداد من أجل النّصر، وهو عليه الصَّلاة والسّلام يريد أن يصل بأصحابه إلى أعلى درجات التهيّؤ للنّصر الذي وعده به ربّه عزَّ وجلَّ، ولذلك أخذ يهيّئهم لاستقبال الملائكة الذين يكونون لهم مدد من أجل النّصر الموعود.

3- تهيّؤ أدنى من الحدث في قوله تعالى: {وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ}36.

إنَّ موسى عليه الصَّلاة والسّلام كان مهيّأ لأن يكلّمه الله تعالى بما هيّأه به، علما أنَّ الله تعالى لم يكلّم بشرا إلَّا وحيا أو من وراء حجاب، قال تعالى: {وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ}37؛ فلمّا كلّمه من وراء حجاب اشتاق موسى لرؤية ربّه تعالى وطلب منه ذلك.

---

[36] الأعراف 143.

[37] الشورى 51.

غير أنَّ التهيّؤ لسماع الكلام غير التهيّؤ لرؤية الحقّ عزَّ وجلَّ؛ فقد سبق القول من الله تعالى أنّه لا أحد من خلقه يستطيع أن يراه في الحياة الدّنيا؛ فهو عليه الصَّلاة والسّلام قد هيّأه الله بقدرات يستطيع أن يسمع كلام الله تعالى، ولكن هذه القدرات من التهيّؤ لا تقوم لرؤية الحقّ عزَّ وجلَّ؛ فلمّا تجلّى الحقّ عزَّ وجلَّ للجبل وليس لموسى جعله دكّا، علما أنَّ التجلّي غير الظّهور، وهو أقلّ درجة منه، واختيار الله تعالى للجبل، لأنَّه مهيّأ أكثر من موسى عليه الصَّلاة والسَّلام، من حيث الحجم والشدّة وقوّة التحمّل. وإنَّ الجبال هي الأوتاد التي تثبت الأرض، وعَرْض الأمانة عليها إنّما هو من قبيل هذه الصِّفات التي تحملها: {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ}[38]، علما أنَّ الجبال من جنس الأرض، وذِكرها جاء على التخصيص، لأنَّها أشدّ من الأرض، وهي التي تثّبتها، ومع ذلك فهي لم تثبت للتجلّي فكيف تثبت للظّهور؟ فموسى عليه الصَّلاة والسّلام كان تهيّؤه أقلّ من مستوى الحدث.

وهذه المراحل الثلاث توضّح الاختلاف في مستوى التهيّؤ عند الإنسان، مع وجود ثوابت تدعم التهيّؤ للحقّ، وبما يجعل الإنسان المستخلف بمستوى الحدث، نذكر منها:

[38] الأحزاب 72.

أوّلا: كثرة المفاسد تهيئة للخروج من المفاسد، حيث أنّه مع كثرة انتشار المفاسد يصبح الكلّ متهيّئ للإصلاح متطلّع له؛ فيكون هناك تهيّؤ لاستقبال الرُّسل والمبشّرين الذين يأخذون النَّاس من الضّلال إلى النّور ومن الفساد إلى الصلاح.

ثانيا: إرسال الرُّسل مبشّرين بالجنّة ومنذرين من النَّار لقوله عزّ وجلّ: {وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ}[39]؛ فبعد أن هيّأ الله تعالى الجنّة والنَّار لاستقبال كلِّ ما خلق؛ هيّأ المخلوقين لذلك بأن أوضح لهم الحقّ والباطل، وترك لهم سلك الطّريق الذي يختارونه؛ فمنهم من يتّبع الحقّ، ومنهم من يتّبع الشيطان، من يتهيأ للحق يبلغه ومن يتهيأ للباطل يبلغه، وفي كلّ الأحوال (لا حول ولا قوّة إلّا بالله).

وقد كان لنا في رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أسوة حسنة؛ فقد كان أعظم مهيئ للمسلمين لأن يكونوا مصلحين أقوياء بعد أن هيّأه الله تعالى لذلك، وذلك كما جاء في قوله تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآَخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ

[39] الأنعام 58، 60.

كَثِيرًا}40؛ فبمجرد الاقتداء بأخلاق الرَّسول الكريم عليه الصَّلاة والسّلام يتهيّأ الإنسان للصّلاح والخير؛ فسيرة رسولنا الكريم صلّى الله عليه وسلّم للباحث المتعمّق فيها يجدها تعمل على تهييئ جيل صالح يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وينشر الفضيلة على وجه الأرض؛ فيكون خليفة من الوارثين.

ثالثا: بالعلم الذي حثَّ الله النّاس عليه ليسعوا وراءه لأنَّه أصل الوصول إلى الحقّ والهداية؛ فالمولى عزَّ وجلَّ هو العليم المطلق، وجعل من أبرز صفات الإنسان التي من شأنها أن تهيئه لأن يكون خليفة هو سعيه الدؤوب وراء العلم النّافع والمعرفة الحقّ، قال تعالى: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ}41؛ فمن الآية الكريمة السّابقة يتّضح ما للعلم من أهميّة، ودرجة كبيرة في تهيئة البشر للتعرّف على الخالق العظيم، والوصول إلى مرضاته، وكذلك يجب على المتّصف بالعلم أن يسعى بين البشر بالعلم لكي يكون مهيّئا لهم، بتعليمهم تغذية عقولهم بما يجعلهم مدركين لكلِّ ما يدور حولهم، وتبصيرهم بما ينفع ويضرّ.

حتّى إنّنا نجد أنّ العلم بالشيء يرفع عن صاحبه الحجّة على عكس الجهل به لقوله تعالى: {إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ

[40] الأحزاب 21.

[41] فاطر 28.

بِجَهَالَةٍ ثُمّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا}42.

رابعا: بتوضيح العلاقة الصّحيحة التي لابدَّ أن يكون عليها البشر، فمنذ بدء الخلق تهيَّأت النّفس البشرية لأن تقبل الحقّ أو الباطل وهذا ما تؤكده قصّة قابيل وهابيل كما جاء في قوله عز وجل: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ}43، نستطيع من الآيات الكريمة السّابقة أن نستنتج قانون الحياة الذي يجعلنا مهيأين للخلافة في الأرض، وذلك من قول الأوّل تعالى: (لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ)، وهو الخوف من المولى عزَّ وجلَّ والسّعي وراء السّلم والخير.

[42] النساء 17.

[43] المائدة 27 . 31.

ففي هذه القصّة تهيئة للبشر بتعليمهم أنَّ الفوز ليس بالقوّة والعنف، وأنّ الخليفة يجب أن يكون مهيّئا للسّلام ومتهيّئا له.

وعليه:

. تهيّأ لما يجب، ولا يفارقك الأمل.

. انزع الخوف من نفسك بالخوف ذاته؛ فالخوف يمكّنك من أخذ الحيطة والحذر ويجنبّك الوقوع فيه.

. ميّز بين الخوف الذي لا يكون إلّا موجبا، وبين الجبن الذي لا يكون إلّا سالبا.

. استشعر ما يحقّق لك ولغيرك الرّضاء، فالاستشعار به يهيئك لما يجب تجاهه.

. التّهيؤ صحوة عقلية؛ فنبّه النّاس والفت انتباههم إليه عبرة وموعظة لعلّهم يستنهضون ممّا هم فيه من قنوط ويأس إلى ما يبعث الأمل في أنفسهم، ذلك لأنّ الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، {لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ}44.

. التهيؤ يقظة من الغفلة المميتة للعقل والنّفس إلى ما يحقّق النقلة ويصنع المستقبل.

---

44 الرعد 11.

. ثق في نفسك فإنْ تهيأت لأملٍ وفيه النّاس يتنافسون، فقد لا تفوز به إن لم تكن متهيّئا لتهيئتهم حتى تتجاوزها إلى الأمل، وكأنّك في الميدان بمفردك.

. الأمل يقظة يلفت الإنسان لنفسه وما يأمل؛ فالتفت لنفسك حتى يتولّد لك من التهيؤ تهيؤا يمكنك من إضافة الجديد.

. اعمل على يقظة النّاس لما يجب أن يتوجّهوا إليه تهيؤا وصحوة.

التهيؤ للحدث الخارجي:

وهو إمّا أن يكون موافقا مطابقا له، وإمّا أن يكون مخالفا:

1 – التهيّؤ المطابق، جاء في قوله تعالى: {اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ}45، لقد وافق يوسف أباه يعقوب عليهما الصّلاة والسّلام في تهيّؤ كلٍّ منهما للآخر، ذلك أنَّ يعقوب لم يصدق إخوة يوسف فيما ادّعوه من أنَّ الذّئب قد أكله؛ فما زاد أن قال: {فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ}46.

[45] يوسف 93 – 96.

[46] يوسف 18.

لذلك عندما فصلت العير قال: (إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ) فهو مهيّأ لأن يجد ابنه رغم ما قيل له، وبالتّالي فإنَّ يوسف عليه الصَّلاة والسّلام كان يوافق أباه في تهيّؤه، فقال: (اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا) ونحن لا نقول: إنَّ هذا من توارد الخواطر كما اصطلح عليه نقاد الأدب عندما تتوافق الفكرة لدى أديبين، وإنّما هو نتيجة الأفكار المشتركة التي تتولّد منها قناعات معينة، الذي أطلقنا عليه الاستنتاج المؤدّي إلى التهيّؤ.

2 -التهيّؤ المخالف في قوله تعالى: {وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ. وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ}[47]، إنَّ تهيّؤ يوسف عليه الصَّلاة والسّلام عندما دعته امرأة العزيز، كان نابعا من أفكار كان قد اختزنها، ممّا أسداه إليه العزيز من معروف في كفالته وتربيته ورعايته، وجلّ اهتمامه كان ينصبّ في هذا النّوع من التهيّؤ الذي يريد أن يجازي الإحسان بالإحسان، وأمّا امرأة العزيز فإنَّ الأفكار التي اختزنتها عن يوسف عليه الصَّلاة والسّلام كانت قد سخّرتها في قضية أخرى وحوّلتها في اتجاه معين، ممّا أجّج العاطفة التي استثارت

[47] يوسف 23 . 25.

الغريزة، بحيث أنَّ شدّة العاطفة امتصت قدرات العقل، ممّا سمح للإرادة باتّخاذ القرار في أنَّها غلّقت الأبواب وقالت هيت لك، قال معاذ الله؛ فإرادته عليه الصَّلاة والسّلام اتّخذت قرارها وفق ما كان مهيّأ له، وإرادتها اتّخذت قرارها وفق ما كانت مهيّأة له أيضا، لذلك وقع التنافر بين التهيّؤين لعدم تطابقهما؛ فكانت النتيجة أن قدّت قميصه من دبر.

إذن؛ فالتهيؤ يستوجب موضوعا يتمّ التهيؤ من أجله، وهو: (المأمول) ممّا يجعل الأمل حيويّة من أجل بلوغه، ولهذا، ينبغي أن يكون الموضوع لا ضرر فيه للغير، فإن كان الضّرر مترتّبا على الأمل؛ فلا يعدّ الأمل أملا، بل يعدّ عملا مشينا وفيه من المعيبات ما فيه، ولهذا يجب تجنّبه، والنّهي عنه، وهذه من مسؤوليات المربّين والمعلمين والوعاظ وأصحاب التخصّصات المهنية بغاية مهن تؤهل إلى المفيد النافع.

تهيّؤ الأشياء:

هو انعكاس شعورنا الدّاخلي على الواقع الخارجي لإدراك تهيّؤ تلك الأشياء بما نمتلك عنها من أفكار، لأنَّ إدراك تهيّؤاتها خاضع لإدراك ما وراء الحسّ، ذلك أنّ حقيقة هذه الأشياء أعمق من ظواهرها التي تبدو لحواسّنا. لهذا وجب على العقل أن يركّب أشتات ما يبدو له من أعماقها ليقف على تهيّؤاتها، وهذا واضح تماما في قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثمّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثمّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ

مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ}[48]، إذ أنَّ الماء عندما يتحلّل إلى عناصره الأوّلية من الأوكسجين والهيدروجين يكون في حالة تهيّؤ، ليتحول إمّا إلى حالة سائلة وهو الماء، أو حالة صلبة وهو البرد، أو حالة ليّنة وهو الثلج عندما يتساقط؛ فعدم رؤيتنا للأوكسجين والهدروجين هي من إدراكات ما وراء الحسّ، ولكن لامتلاكنا أفكارا عنها نستطيع أن نقف على تهيّؤاتها التي لا تبدو لحواسنا.

وكذلك فإنّ للحيِّ غير العاقل تهيّؤه، وهذا التهيّؤ يختلف عن تهيّؤ العقلاء والأشياء، لأنَّ مادة التهيّؤ لنوع الحيوان غير الناطق قائمة على الأعضاء والغريزة، حيث نجد التهيّؤ لدى الطّير بجميع أنواعه يعتمد هذين العنصرين؛ فإذا وقعت عينك على غراب ستجده يبحث في الأرض بمنقاره ورجليه، لذلك لم يهتدِ ابن آدم لما اهتدى إليه الغراب لأنّه غير مهيّأ لمثل هذا الفعل، قال تعالى: {فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ}[49]؛ فهو مهيّأ لدفن غراب آخر.

---

[48] النور 43.

[49] المائدة 31.

ولأنَّ الطّير مهيّأ بخواص معينة؛ فقد اختاره سليمان عليه الصَّلاة والسّلام كي يوصل كتابه إلى ملكة سبأ؛ لأنَّه مهيّأ لمثل هذه المهمّة، حيث قال تعالى: {اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ}[50]؛ فالهدهد له جناحان تؤهّله للطّيران، أمّا اختياره دون غيره من الطّير، فلأنّه مهيّأ لهذه المهمّة بالذّات، علما أنَّ هناك من الطيور ما هو أقوى منه في البنية وأشدّ سرعة، كالنّسر والصّقر والعقاب، وسبب اختياره أيضا لأنّه هو الذي أتى بالنبأ في قوله تعالى: {فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ}[51]؛ فهو مهيّأ من هذا الجانب حيث رأى المكان والملكة وقومها وسمعهم يتحدّثون، وكذلك شكل الهدهد وجماله وكونه طائرا وديعا؛ فهذا يعني أنَّه يتمتّع بمواصفات تهيّؤه لأن يقوم بمهمّة إيصال الرّسالة؛ فاختار سليمان عليه الصَّلاة والسّلام من وجد فيه التهيّؤ لأن يكون رسولا.

وكذلك بقيَّة الحيوانات من الوحوش وغيرها مهيّأة لما خلقت له، ومصدر تهيّئها هو الأعضاء والغريزة؛ فالسّباع والحيوانات المفترسة مهيّأة لأكل اللحوم، وتهيّؤها لهذا العمل معلوم لدينا بما نمتلك عنها من أفكار، لذلك قال يعقوب عليه الصَّلاة والسلام كما جاء في القرآن

[50] النمل 28.

[51] النمل 22.

الكريم: {قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ}52؛ فهو لعلمه تهيّؤ الذّئب للافتراس، وأكل اللحم خشي على يوسف منه، لذلك وجدنا إخوته عندما جاؤوا أباهم عشاء يبكون، كان جوابهم له ضمن دائرة التهيؤ: {قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ}53.

ومن ناحية ثانية أنَّ السّباع لديها تهيّؤ للافتراس وأكل اللحم، وتهيّؤها مصدره الغريزة والأعضاء، إلَّا أنَّها لا تأكل أولادها؛ فهو تهيّؤ ضمن التهيّؤ بأن لا تأكل أولادها، مع أنَّ ذلك قاعدة استثناء؛ لأنَّ هناك من الحيوانات التي تأكل أولادها.

إنَّ تهيّؤ الإنسان هو نتاج العاطفة التي تدفع الغريزة لإشباع الحاجة.

أمَّا الانتقال من التهيّؤ إلى الاستعداد، ثمّ مباشرة الفعل فهو مرتبط بالعقل لدى الإنسان بما تكون عليه النتائج وفق الأخلاق التي يحملها، وأمَّا بالنّسبة للحيوان فذلك مرتبط بالغريزة وردّة الفعل للانتقال إلى الاستعداد والتصرّف.

---

[52] يوسف 13.

[53] يوسف 17.

فالتهيّؤ لا يقتصر فقط على البشر بل يتعدّاه لجميع الكائنات والمخلوقات الأخرى؛ فمثلا الحشرات تتهيّأ لاستقبال الشتاء والبرد بتخزين الطعام لعدم قدرتها على التحرّك خارجا في البرد؛ فتهيئ نفسها على ذلك كالنّمل مثلا، وكذلك النّحل؛ فهو يتهيّأ لإنتاج العسل وصنع الخلايا، واتّخاذ الجبال بيوتا لقوله تعالى: {وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}[54]، وكذلك العنكبوت الذي يصنع بيته من خيوط واهية ليهيّئ نفسه للصيد والكثير من الحشرات التي تتهيّأ للحياة والاستمرار فيها والدّفاع عن نفسها بقدرة الله تعالى، وكذلك الأمر بالنّسبة للحيوان الذي يتهيّأ للدّفاع عن حياته وحياة صغاره، وكذلك الأشجار والثّمار التي تتهيّأ للتلقيح ومن بعد ذلك تتهيّأ للقطف سواء كان ذلك للعلاج أو الزينة أو غيرها من الاستخدامات، والطيور كذلك التي تتهيّأ لبناء أعشاشها من القش واحدة تلو الأخرى وغير ذلك من الكائنات الحيّة التي تتمثل فيها صور التهيّؤ لاستقبال الحياة وسبل العيش فيها.

والتهيؤ شعور يسبق أي ردّة فعل أو انفعال أو تصرّف يصدر عن المخلوقات بصفة عامّة وعن الإنسان بصفة خاصّة، لأنّ من شأن

[54] النحل 68، 69.

التهيؤ إذا كان في الاتجاه الصّحيح أن يجعل من الإنسان قويّا وحكيما لا يضعف ولا يفاجأ في الحياة فلا يحسن التصرّف في معالجة الأمور، ولهذا كان لابدّ من التهيّؤ حتى في أدقِّ أمورنا وفي تفاصيل حياتنا اليومية، كأن يتهيّأ الرّجل حتى في دخوله بيته لتتهيأ أسرته بالتالي لاستقباله، وكذلك كلّ شيء إذا ما أتيحت له الفرصة قادر على أن يتهيّأ وفقا لما هو متوقّع وغير متوقّع.

فالله سبحانه وتعالى عندما أراد بمشيئته أن يكون الإنسان خليفة في الأرض، هيّأه وهيّأ له الأسباب التي يكون بها خليفة بحقٍّ فيما أراده الله تعالى له، وأوّل هذا التهيّؤ في خلقه وتكوينه فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ}[55]؛ فقد سوّاه وجعل الأعضاء سليمة سويّة معدّة لمنافعها وعدلها بعضها ببعض بحيث اعتدلت ولم تتفاوت، و صرفها على هذه الخلقة الملائمة لهذا الشكل وهيّأها لما أعدّت له، ثمّ ركّبها بالصّورة التي شاءها بحيث تصلح للعبادة والخلافة في الأرض من أجل إعمارها.

فالتسوية تهيّؤ بحيث جعل أعضاء الإنسان سويّة سليمة معدّة لمنافعها، بحيث يترتّب على كلِّ عضو تهيئته للمنفعة التي خلق ذلك العضو لأجلها، كالبطش لليد، والمشي للرِّجل، والتكلّم والذوق للسان،

[55] الانفطار 6- 8 .

والإبصار للبصر، والسّمع للأذن، إلى غير ذلك من تهيئة بقية الأعضاء، وتعدل بعض تلك الأعضاء بالبعض الآخر، بحيث اعتدلت ولم تتفاوت مثل أن تكون إحدى اليدين أو الرّجلين أو الإذنين أطول من الأخرى، أو تكون إحدى العينين أوسع من الأخرى؛ فالله سبحانه وتعالى عندما أراد الإنسان أن يكون خليفة في الأرض ركّبه وعدّله وسوّاه وهيّأه في أحسن تقويم؛ فمثلا ننظر إلى جانبي جسد الإنسان هي على التساوي حتَّى إنّه لا تفاوت بين نصفيه لا في الأطراف الخارجية ولا في التركيب الدّاخلي، ولا في العظام ولا في أشكالها ولا في الأوردة والشرايين والأعصاب النافذة فيها والخارجة منها؛ فكل ما في أحد الجانبين مساوٍ لما في الجانب الآخر.

إذن الإنسان عندما خلقه الله تعالى هيّأه لما هو مكلّف به، وأوّل هذه التكاليف هي العبادات المفروضة. وهنا أتساءل:

هل الإنسان مهيّأ للعبادات؟

قبل أن نقف على حقيقة التهيّؤ للعبادات من قِبل الإنسان، لا بدّ لنا أن نعلم هذه العبادات المفروضة، علما أنّه لا تقبل عبادة إلَّا بشهادة الحقّ التي كانت أوّل ما دعا به رسول الله عليه الصَّلاة والسّلام في أوّل الدّعوة، عندما كان يطوف على النَّاس بالأسواق؛ فيقول: "يا

أيّها النّاس، قولوا لا إله إلّا الله تفلحوا"56، والعبادات التي نتكلّم عنها هي العبادات المفروضة غير التطوّع والنوافل؛ فبعد شهادة الحقّ تقبل العبادات من الصّوم والصّلاة والحجّ والزّكاة، وسيكون تركيز التهيّؤ على الصَّلاة لأنَّها عماد الدّين من جهة، ولأنَّ العبادات الأخرى قد تتوافر شروطها التي توجب إقامتها وقد لا تتوافر، أمَّا شروط الصَّلاة فلا تزول، ومعنى ذلك أنَّ الإنسان خلق مهيّأ للصّلاة، ولولا أنَّه مهيّأ لما أمره الله تعالى بذلك حيث قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاة فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}57. وقد يظنّ البعض ما ورد في هذه الآية الكريمة من أوامر الوضوء وكيفيته، أو الغسل والطهارة والاستنجاء، أو التيمم، يعتقد البعض أنَّ هذه الأعمال هي التهيّؤ للصّلاة، ولكنّا نقول: إنّ هذه الأوامر، وفعل هذه الأعمال إنّما هو استعداد للصّلاة، ولكن التهيّؤ شيء غير هذا يدخل في ثلاث مراحل هي:

---

56 المستدرك للحاكم، ج 1، ص 496.

57 المائدة 6.

1- تهيّؤ عضوي مادّي: إنَّ الإنسان في خلقه من هذه المادّة التي تتوزّع ما بين عظم ولحم ودم وأعصاب، وبصرف النّظر عن الجانب العلمي لمهمّة هذه الأجزاء؛ فنحن في موضوع التهيّؤ نركز على الجانب العملي لهذه الأعضاء؛ فالعظم هو عماد اللحم الذي يقوم عليه، واللحم هو كساء لهذا العظم، وتقوم الأعصاب والأوردة والشرايين بعملية الربط بين الأجزاء في المفاصل المهيأة للحركة، إضافة إلى دورها الآخر في التغذية والتنبُّه وما إلى ذلك، وبهذه المفاصل المتحرّكة في اتجاهات مختلفة، وما يستطيع الإنسان القيام به من قيام، وقعود، وجلوس، وبروك، والتفات، وحركة أعضاء، جاءت وضعية الصَّلاة في أدائها مطابقة لما هيّئت له هذه الأعضاء من الحركات في القيام والرّكوع والسّجود والجلوس والتسليم، ولهذا لم يكن الرّكوع مثلا إلى جهة اليمين أو جهة اليسار، ولا التسليم إلى الخلف، وذلك لعدم التهيّؤ لهذا النّوع من الفعل، وإنّما جاءت الصَّلاة مطابقة لما هيّئ له الإنسان عضويا.

2- تهيّؤ نفسي داخلي: ويكون هذا النّوع من التهيّؤ هو من محبّبات القيام بالفعل والرّغبة فيه، وهو أنَّ الصَّلاة فرض على المسلم أن يقوم به، إضافة إلى القناعة وأنّها تعين على الصبر قال تعالى: {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ}[58]؛ وهنا؛ فالخشوع صفة من صفات المتّقين الذين وعدهم الله بأن يدخلهم

[58] البقرة 45.

جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا، وفي المقابل وعد العاصين بالعذاب في نار جهنّم، وكذلك فإنَّ الصَّلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر والبغي؛ فهذه قمة مكارم الأخلاق التي تألفها النّفس الإنسانية؛ فالمحفّزات من الثواب لمن أقامها، والروادع والزواجر من العقاب لمن تركها؛ فهي تولّد تهيّؤا نفسيا يؤدّي إلى الاستعداد للفعل.

3- تهيّؤ ذهني عقلي: إنَّ المصلي بطبيعة الحال هو متهيّئ ذهنيا وعقليا، ونقصد بذلك أنّه يعلم النداء والإقامة وكيفية الدّخول في الصّلاة، والتكبير والحمد والتسبيح وسورة الفاتحة وشيئا من القرآن، ودليل التهيّؤ الذهني وعدمه أنّك عندما تصلّي في البيت مثلا، وفيه طفل لم يبلغ مرحلة التمييز؛ فعندما تركع، يركع معك ثمّ يتركك ويبتعد عنك لأمر خطر في ذهنه من لعب أو طعام؛ فيمضي لحاجته، ثمّ يأتيك وأنت ساجد فيسجد معك، ثمّ يتركك ويمضي لشأنه وأنت ساجد، وتفسير هذا الأمر، أنّ هذا الطفل مهيّأ للصلاة عضويا فقط، وينقصه التهيّؤ النفسي والتهيّؤ العقلي الذي يعبّر عن المعلومة، بمعنى أنّه لا يدري ما الذي تقوله أنت في صلاتك، ولو كان يعلم ما تقوله في صلاتك لاستمرّ، أو لاستمرّ بقدر ما هو مهيّأ من الجانب العقلي.

أنواع التهيؤ

التهيّؤ نوعان:

1 ـ التهيؤ الكامن؛ وهو المبني على علم سابق بفعل لاحق، ولننظر إلى سيدنا إبراهيم وفعله بأوثان قومه، يقول المولى عزَّ وجلَّ: {وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاس لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ثمّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ}[59]؛ فالتهيّؤ

[59] الأنبياء 51-63.

للحقِّ كامن في نفوسهم أظهره منطق إبراهيم عليه الصَّلاة والسّلام الذي هو بدوره متهيّئ لإظهار الحقّ بمنطقه.

والتهيّؤ الكامن يرتكز على الإرادة والقوّة معا، كتهيّؤ سليمان عليه الصَّلاة والسّلام؛ فيقول الحقّ سبحانه مخبرا عن تهيّؤه سليمان للفعل المخصوص: {قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ}[60]، عليه فالتهيّؤ كان موجودا تامّا عند الذي عنده علم من الكتاب، أمّا عند غيره فلم يكن للتهيّؤ حضورا أو اكتمالا يمكن أن يمكّنهم من بدء الاستعداد للفعل المخصوص.

فالتهيّؤ الكامن هو صورة مكتملة في الباطن تمثل بداية مكتملة يتبعها الاستعداد ثمّ الفعل، مع وضوح الاختلاف في الامتداد الزّماني؛ فالعفريت احتاج إلى زمن أطول من الذي عنده علم بالكتاب للقيام بالمراحل الثلاث، لنسبيّة الاستعداد عند العفريت، بينما استغرق الذي عنده علم من الكتاب زمنا أقلَّ بقوّة الاستعداد والمقدرة.

---

[60] النمل 38-40.

والتهيّؤ الكامن لا يظهر إلّا بإرادة، يقول الحقّ سبحانه: {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ}61؛ فهؤلاء تهيّئوا للحقّ لكنّهم أبو أظهاره واظهروا غيره؛ فالكامن عندهم غير الظّاهر.

2- التهيؤ الظاهر؛ وهو التهيّؤ الذي يرتكز على القوّة الكامنة بالإرادة حينا ومن دونها حينا آخر، ويتمثّل في صور متعدّدة؛ فالبلوغ عند الشّاب أو الفتاة هو تهيّؤ ظاهر استعدادا لفعل الزّواج، والثّمر في الشّجر هو تهيّؤ ظاهر استعدادا لفعل القطف، وهذا كلّه من التهيّؤ الفطري، أمّا أدوات العلم في الإنسان فإنّها تدلّ على التهيّؤ الظّاهر الإرادي لقبول العلم؛ فوجود الحواس إلى جانب العقل دلائل على التهيّؤ الظّاهر في الإنسان للاستعداد لقبول العلم، يقول سبحانه وتعالى: {إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كلِّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا}62؛ يعني أنّ بذلك يحصل التهيّؤ لقبول العلم وحفظه والاطلاع على دقائقه وغوامض حقائقه63.

وقد يكون التهيّؤ الظّاهر في غير المسار الحقّ فيظهر على غير صورته الحقيقية؛ فالإنسان يجب عليه أن يجعل إيمانه بالله عزّ وجلّ

---

[61] النمل 14.

[62] الإسراء 36.

[63] آداب العلماء والمتعلمين، الحسين بن المنصور اليمني ج1 ص 26.

مطلقا؛ وفي تصريف شؤونه مطلقا كذلك، وهو بذلك يُظهر التهيّؤ لأيِّ أمر شاءه الله سبحانه وتعالى، ولكن الكثير من النَّاس ينسى سلطان ربّه فيُظهر غير ما يجب، وعن هؤلاء يقول المولى عزَّ وجلَّ: {لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ}[64]، أي يقع في ذهنه أنّه لا يتهيّأ له بعد هذا خير[65]؛ فهذا اليئوس القنوط تهيَّأ لانقطاع الخير عنه باليأس من رحمة الله.

لقد منَّ الله على الإنسان بأن أعطاه ما يمكّنه أن تتهيّأ له الأشياء في العقل قبل وجودها في الحيز؛ فمكّننا من بلوغ ما يكون قبل أن يكون، فتأمّل لو أنّك أردت بناء بيت ألا تتهيّأ لك صورته في عقلك قبل أن تظهر صورته في الوجود وترسم له خريطة يمكن تنفيذها من قبل العاملين!

وعلى ذلك زد في تأمّلك واسأل نفسك كيف تفسّر النّجاح في الابتكارات والمنجزات العلمية والإنسانية؟ أليس التهيّؤ من أهم أسباب هذا النّجاح، هنا نقول: إنّ اختيار الإنسان للاستخلاف في الأرض لم يكن إلَّا لكونه متهيّئا للقيام بأمر الخلافة على أحسن وجه، وبأجمل صورة، ولابدّ من القول بأنَّ التهيّؤ خصيصة في الكينونة عند المخلوقات جمعيها إراديّا أو فطريّا، لكن الإنسان مخصوص بميزة التهيّؤ النّابع من

[64] فصلت 49.

[65] ابن كثير، ج7، ص 186.

العقل ليتسنى له، ويتيسر في الوقت ذاته إعمار الأرض التي استخلفه الله عليها.

والتهيّؤ حالة كاملة من حالات المخلوق، ولو لم تكن كاملة لغاب العلم به والجزاء عليه؛ فالله سبحانه وتعالى يقول: {وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ}66، واختار الله لفظة علم لمناسبتها للكليّة؛ فالعلم كلِّي والمعرفة جزئية؛ فما تُكنُّ صدورهم متكامل في ذواتهم ومتهيّئ في الكامن؛ فهو حالة واضحة الملامح مترابطة الأجزاء أعلنوها أم لم يعلنوها.

زمن التهيّؤ:

ذكرنا فيما سبق أنّ التهيّؤ حركة بعد سكون، وما من حركة إلَّا باستغراق زمني، لذلك وجب أن نفهم زمن التهيّؤ.

إنَّ استغراق الأشياء في السّكون ما هو إلَّا مرحلة سابقة للتهيّؤ، بينما الاستعداد مرحلة لاحقة له، والمسافة ما بين السّكون والاستعداد هي حيّز التهيّؤ، وهو فيها في ديمومة حركية مستغرقة للزّمن؛ فالسّكون يجعل من التهيّؤ صورة دائمة، انظر إلى النَّار لتجد أنَّها في حالة تهيّؤ دائم في حركة موحية، لكنَّها لم تصل مرحلة الاستعداد، يقول

[66] القصص 69.

عنها الحقّ سبحانه: {وَاتَّقُوا النَّار الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ}67؛ فمتى تصل درجة الاستعداد عندما يسعّرها الله سبحانه وتعالى: {وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ}68، كذلك الجنّة فهي في حالة تهيّؤ وتصل الاستعداد عندما يأمرها الله سبحانه لتستعدّ لاحتضان المؤمنين بالله وملائكته وكتبة ورسله، {وَإِذَا الجنّة أُزْلِفَتْ}69.

التهيؤ بين الأنا والآخر:

لا شكّ أنَّ تهيّؤ الأنا مرتبط بالآخر، عاقلا أم غير عاقل؛ فهو حركة إلى الخارج وليس إلى الدّاخل ويبنى على عدّة أمور هي:

1 . الاستشراف، وهو التطلُّع إلى الشيء في الزّمن المستقبل، وهو عملية تقوم بها الأنا؛ فيكون على هيئة مخصوصة وفق ما عند الآخر من حال أو ميل أو اتجاه للموجب والسّالب على حدٍّ سواء، وآية الاستشراف ما أخبر عنه الخبير جلَّ وعلا في محكم كتابه عن عبده ذي القرنين فقال: {حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا آتُونِي زُبَرَ

[67] آل عمران 131.

[68] التكوير 12.

[69] التكوير 13.

الْحَدِيدِ حتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا}70. لقد استشرف ذو القرنين واقع الحال فتطلّع إلى مانع يمنع هؤلاء المعتدين من الوصول إلى النَّاس؛ فتهيّأ له السدّ الحديدي ثمّ بدأ الاستعداد بجمع الحديد، ثمّ فعل ما تهيّئ له؛ فكان التهيّؤ إبداء قبل الإظهار، وأصبح للسدّ هيئة قبل أن يكون. ولهذا دائما هيئة الشيء تسبقه في عقل المهيأ للتهيؤ.

2- الاستشعار، هو عبارة عن تجميع المعلومات عن الآخر دون تماس أو تداخل معه، وهي من وسائل الأنا للتهيّؤ للآخر، ويمكن لنا أن نتمثّل بقصة سيدنا عيسى عليه الصَّلاة والسّلام التي أخبر عنها مولانا الحقّ سبحانه فقال: {وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى

70 الكهف 93-97.

اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ}71، والإحساس هو امتداد من أجل المعرفة، وهنا استشعر عيسى عليه الصّلاة والسّلام كفرهم بأنْ جمع المعلومات عن بعد؛ فكان أنْ تهيّئا لهذا الكفر بدعوة أنصاره إلى طريق الحقّ؛ فكان الحواريون أصحابه.

وقال الله تعالى: {وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ}72، وقد تأتّي لهم من خلال الاستشعار بآيات العذاب؛ فكانوا على هيّأة مخصوصة وصفها الله سبحانه بالرّكض؛ دلالة على الهرب بعد الاستشعار.

3- الإيقان، الإيقان بالشّيء هو العلم بحقيقته بعد النّظر والاستدلال73، والتهيّؤ الحاصل بعد الإيقان هو من موجبات الإيمان ومن دلائله، وما من مثال أوكد في تفسير ذلك من قصّة سيدنا إبراهيم عليه الصّلاة والسّلام الذي أراد له الله أن يكون من الموقنين؛ فقال مخبرا عنه، {وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ

[71] آل عمران 49-52.

[72] الأنبياء 11-13.

[73] التعريفات، الشريف الجرجاني، ج 1، ص 12.

يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ فَلَمَّا رَأَى الشّمس بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ}74؛ فقد أمعن إبراهيم عليه الصَّلاة والسّلام النظر في الأشياء، ثمّ استدلّ بها على الحقّ؛ فأيقن، وحصل التهيّؤ للإيمان والتسليم لله ربّ العالمين.

كذلك قصّة سيدنا موسى عليه الصَّلاة والسّلام مع العبد الصالح، فقد أمر الله موسى بالبحث عن العبد الصَّالح للتعلّم منه، ولانَّ العبد صالح؛ فقد تهيّأ موسى عليه الصَّلاة والسّلام للعلم والعمل الصّالح، {فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ ممّا عُلِّمْتَ رُشْدًا}75، أمّا العبد الصَّالح فقد تهيئ لاستيعاب استغراب موسى وتعجُّبه؛ فقال له كما يخبرنا العليم سبحانه وتعالى: {قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا}76، وتهيّؤ العبد الصَّالح كان أقرب إلى صورته الحقيقة وذلك عندما أظهر موسى عليه الصَّلاة والسّلام الاستغراب والتعجّب بالفعل، قال تعالى:

---

74 الأنعام 75-79.

75 الكهف 65-66.

76 الكهف 67-68.

{فَانْطَلَقَا حتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا}77، أمّا تهيّؤ موسى؛ فكان متغيّرا لأنَّه في مرحلة طلب العلم، بينما العبد الصَّالح أتمَّ هذه المرحلة، وتهيّأ لمرحلة أخرى هي تعليم موسى عليه الصَّلاة والسّلام.

4- التوسُّم، هو التفرُّس بالأشياء، وذلك بالاستدلال بالظّاهر على الباطن78، وهو ما أشار العليم الخبير إليه في آياته مُذّكرا عباده فقال: {فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ}79، والتوسّم من الطرق التي تؤدّي إلى التهيّؤ الحقّ وللحقّ، وهو طريق لمعرفة الآخر والتهيّؤ له.

ومن الظَّاهر الدّال على الباطن العلامة، وهي سمة مميّزة في الأشياء تدلّ على بواطنها، يقول الحقّ سبحانه: {سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ}80، هنا السمات هي ما يظهر في وجه المؤمن

---

[77] الكهف 71.

[78] الفراسة عند العرب، يوسف مراد، ترجمة مراد وهبة، الهيأة المصرية العامَّة للكتاب، القاهرة 1982، ص 94.

[79] الحجر 73-75.

[80] الفتح 29.

المصلي من هيبة ووقار، وهنا قال: (سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ)، ولم يقل: (على وجوههم) كما يعتقد البعض ويشوه جبهته ليقال عنه مصلي.

أسباب التهيؤ:

يرتبط التهيّؤ ارتباطا شرطيا بالمتغيّر؛ فهو حالة من حالاته، أمّا الباقي سبحانه فأمره كن فيكون، وإنَّما هو الذي وهب الأشياء خصيصة التهيّؤ ومكّنها منه بما جعل فيها من أسباب التهيّؤ وهي:

1- المشيئة، مشيئة الله موجودة في كلِّ مخلوقاته؛ "فمعلوم أنَّه ليس في المخلوقات شيء هو وحده علّة تامّة، وسبب تامّ للحوادث، بمعنى أنَّ وجوده مستلزم لوجود الحوادث، بل ليس هذا إلَّا مشيئة الله تعالى خاصّة؛ فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن"[81]؛ فمشيئته هي التي جعلت الإنسان مهيّأ لإعمار الأرض، ومشيئة الله هي التي وهبت الجبل التهيّؤ ليكون من رواسي الأرض، {قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا}[82].

---

[81] جامع الرسائل، ابن تيمية ج1، ص 370.

[82] فصلت 9 - 10.

وبالمشيئة كان الجمل مهيّئا ليسير في الصحراء سالكا لمسالكها ومجالدا قساوة أنوائها، {أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ}83.

2- العقل، وهو ما امتاز به الإنسان؛ فقد كرّمه الله به، وهو عند الإنسان من أهم لوازم التهيّؤ، لأنَّه بمثابة الرّحم الذي يحتضن المهيّأ لحين اكتماله كلّا كاملا قبل الظّهور.

3- الغريزة، وهي عامل مشترك بين المخلوقات الحيّة؛ فقد جعلها الله في هذه المخلوقات لتمتلك القدرة على التهيّؤ لما هو مقدّر لها في الحياة الدّنيا؛ فالإنسان مهيّأ للتّزاوج بفعل الغريزة، والحيوانات مهيّأة للأكل والتكاثر بالغريزة لا بالإرادة، والنّباتات مهيّأة للإثمار بالغريزة.

التهيّؤ لمعرفة الخالق:

الإنسان لكونه موجودا، ليس له بدّ إلّا أن يعلم واجده، وأسباب وجوده والغاية التي وجد من أجلها. ونحن قد أسلفنا الذّكر في تهيّؤ الإنسان العضوي والنّفسي والعقلي، وهذه المتهيّئات إضافة إلى ما ذكرناه من خواصّها ومهامها؛ أنّها أيضا توصل إلى واجده، وكشف أسباب وجوده والغاية التي وجد من أجلها، فممّا لا شكّ أنَّه ليس شيء في هذا الكون وجد بنفسه، أو وجد مصادفة، أو وجد لا إلى

[83] الغاشية 17.

غاية، ونحن هنا لا نتكلّم في الواجد، لأنَّ ذلك من نافلة القول، وأنَّ الله هو الخالق البارئ المصوّر، ولكنّنا نتكلّم في الموجود وأسبابه وغايته، كي نصل إلى الواجد من خلال آيات الوجود؛ فقد قال تعالى: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشّمس وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ}[84]، ولئن سألت من خلق السّموات والأرض وهذا الكون، وسخّر الشّمس والقمر، وبثّ في الأرض أسباب الحياة، ليقولن الله، وهي مسخّرة لمصالح الخلق، حيث إنَّ الشّمس والقمر يجريان على الدّوام، والتسخير جعل الشيء منقادا للآخر، وسَاقَهُ إلى الغرض المختصّ به قهرا، وهذا لا سبيل إلى إنكاره لما تقرّر في العقول من وجوب انتهاء الممكنات إلى واحد واجب الوجود، وكذلك قوله تعالى: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ}[85]؛ فلو سألت الخلق من أوجدهم وأخرجهم إلى الوجود فسيقولون الله، لتعذّر الإنكار لغاية ظهوره؛ لأنَّ الإنسان خُلق للمعرفة، وطُبع عليها، وبها أكرمه الله تعالى؛ فهو متهيّئ لهذا النّوع من المعرفة بما أوتي من أدواتها المهيّئة لهذا الأمر؛ فالسّمع والبصر والعقل والأعضاء، مضاف إليها حاسّة الذّوق والشّم كلِّ ذلك أدوات تهيّئ لمعرفة الخالق، ونقول للذين لا يقرّون باليقينيّات، ولا بالدّليل السّمعي القطعي المنقول بالتواتر، بمنطق علمي بسيط أقره العلماء، واقتنع به الجهلاء، وقد اعتمده أهل الطبيعيّات

---

[84] العنكبوت 61.

[85] الزخرف 87.

وأهل النظريّات هو الاستدلال بالأثر على المؤثّر؛ فهم قد عرفوا الكواكب البعيدة بآثارها لا بذاتها.

وعليه:

فالفعل المستحيل لا يكون إلّا خَلقا، ولأنّه كذلك؛ فلا يكون إلّا إعجازا، حيث لا إمكانية لخلق الشيء شيئا إلّا بمشيء، وحتى أن عُدنا لذلك التّساؤل الذي كانت عقولنا متهيأة له وهو:

من الذي خلق الخالق؟ وكيف كان قبل أن يخلق ما خَلق؟

أقول:

بما أنّنا نقول الخالق، إذن؛ فلا ينبغي أن نسأل عمّن خلق الخالق؟ أي: كيف لنا من زاوية نقول الخالق، ومن زاوية أخرى نسأل عنه؟ إنّه الخالق الذي يخلق ولا يُخلق، ومن ثمّ؛ فكلّ شيء يُخلق؛ فهو ليس بالخالق، ولذا فلا فواصل بين الخالق وخَلقه؛ فالخالق ليس على الصّورة ليكون موجودا قبل أن يخلق الخلائق، ولذلك؛ فالسؤل ليس في محلّه، لأنّ السّائل جعل في ذهنه هيئة للخالق، وهنا تكمن العلّة، حيث لا هيئة للخالق، بل له مشيئة، والمشيئة هي فعل المستحيل، والتفكير في الفعل المستحيل يجعل السّائل في حيرة من أمره بعلّة في نفسه وهي: اختلاط فكرته عن الخالق الذي لا يُصوّر بما هو على هيئة الصّورة، وبالتّالي فمن يتصوّر لله هيئة، يجعله وكأنّه داخل الإحاطة، ومن يفكّر

داخل الإحاطة؛ فتفكيره لا يزيد عن كونه تفكير كتكوت داخل البيضة، والذي لا إمكانية له في رؤية عالم أعظم من عالمه داخل البيضة؛ ولذلك؛ فهيئة الله بلا هيئة، وصورة الله بلا صورة. ومن هنا؛ فنحن غير عاجزين عن معرفة الله، ولا يليق بنا أن نسأل عمّن بيده الأمر (كن): كيف كان؟

نعم، الله لم يكن، حتى نسأل عنه كيف كان؛ فمثل هذا السؤال يتعلّق بمن لم يكن فكان؛ كما هو حال الكون الذي كما يقولون عنه كان نتاج ذلك الانفجار العظيم سببا، وكما هو حال الأزواج التي لو لم تكن الأرض كائنة ما خُلقت منها الأزواج سببا، وغيرها كثير من الخلائق التي قبل خلقها لم تكن بخلائق.

ومن هنا؛ فلا ينبغي أن يكون السؤال: كيف كان الله؟

بل ينبغي أن يكون السؤال: من هو الله؟ وما هي صفاته؟

فالله هو الذي يُسمّى بهذا الاسم، وهو الذي لم يكن كائنا، حتى يسأل عنه كيف كان، ولذلك؛ فالكائن لا يكون إلّا على هيئة يراد له أن يكون عليها؛ فيكون. وبالتالي فأيّ كائن لا يكون إلّا على هيئته ووفق مشيئة ليست بيده، ومن هنا؛ فنحن ندرك الكون علما، ولكنّا لا ندرك هيئته، وكيف لنا بهذا ونحن لم ندرك صورة الكون متكاملة؟ أي: كيف لنا بهذا ونحن داخل محيط الكون الذي لم نتمكّن

بعد من الخروج عنه بأيّ سبب، ومع ذلك يمكن لنا أن نتصوّر الكون باعتبارنا جزيء فيه أو حتى إنّنا أقل من ذلك بكثير، أمّا الخالق؛ فهو على غير هيئة كونه على غير صورة، وبالتالي لا إمكانية لوضعه في أيّ هيئة ذهنية، ولا يليق بعقولنا ومدركاتنا التي أدركته استحالة أن تجعله على هيئة أو صورة وهو لم يضع نفسه فيها؟

ومن ثمّ؛ فالله يخلق غيره، وغيره لا يخلقه، وبالعودة إلى السؤال: كيف كان الله؟

فالله لا يكون.

ومن هنا، فالسؤال لا علاقة له بمن يُسأل عنه. بل له علاقة بالسّائل، الذي لا يعرف من كينونته إلّا أنّه من نطفة ومن قبلها من تراب، ولا شيء غير ذلك، ومع ذلك يسأل: كيف كان الله؟

أي: ألا يكفي إجابة أنّه يعلم أنّه قاصر عن معرفة كيفيّة خلقه التي ليس له رأي فيها؟ ويسأل عن كيف كان الله؟

أقول:

عليك بالبحث في الكون بلا توقّف، لعلّك تعرف كيف خُلق، وكيف كانت له هيئة قبل أن يُخلق، ووفق أيّة مشيئة هو خُلق؟ وكذلك عليك بالبحث في نفسك لعلك تعرف كيف خُلقت، وكيف كانت

لنفسك هيئة قبل أن تُخلق، ووفق أيّة مشيئة هي خلقت؟ وعليك أن تفكّر فيما تفكّر فيه قبل أن تتكلّم وتقرّر أو تعمل؛ فإن فعلت ذلك عن وعي، لا شكّ أنّك ستدرك أنّ صفات الله تتعدّد بتعدّد نعمه، وهو الواحد الذي لا يتعدّد.

أمّا التهيّؤ الفطري واليقيني في هذا الجانب فأمثلته أكثر من أن تحصى، لأنَّ تدبّر آيات الخلق من الأرض والسّماء، وما فيهما من عجائب، يوصل الإنسان إلى يقين الاعتقاد بما هو مهيّأ له من الوصول إلى حقائق الإلهيات؛ فالمسموع والمبصَر، إنّما يصبح معلومة وفكرة في العقل يدخل في مجال التهيّؤ استعدادا لمعرفة الأشياء ومعرفة مبدع الأشياء: قال تعالى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآَيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ}[86]، فمن متمّمات التهيّؤ للإنسان في معرفة خالقه، هي هذه الآيات البيّنات، لقد خلق الله السّموات وجعل فيها الشّمس والقمر والنّجوم والكواكب والمجرّات، وخلق الأرض وبثّ فيها الجبال والبحار والأشجار والوحوش والطيور، واختلاف الليل والنّهار، بمعنى ذهاب الليل ومجيء النّهار في اختلاف لونيهما، و في تفاوتهما بازدياد الليل بانتقاص النّهار، وانتقاص النّهار بازدياد الليل، وذلك باختلاف حال الشّمس بالنّسبة إلينا قربا وبعدا بحسب الأزمنة؛ فهذه آيات لأولي الألباب؛ فيها من العبر الكثيرة لذوي العقل الخالص

[86] آل عمران 190.

من شوائب الأوهام والخيالات، قد هيّأها الله تعالى للدلالة عليه جلَّ شأنه؛ فهذا بيان ما يجول فيه فكر المتفكّرين في خلق الله تعالى، وليس فيها فكر في ذات الله تعالى، ولكن يستفاد من التفكّر في الخلق لا محالة معرفة الخالق وعظمته وجلاله وقدرته، وكلّما استكثر العقل المهيّأ للتفكّر في معرفة عجيب صنع الله تعالى، كانت معرفته بجلاله وعظمته أتمّ وأشمل.

وأمّا تهيّؤ الإنسان اليقيني لمعرفة الخالق من خلال القلب والرُّوح فلا سبيل إلى إنكاره، والإجابة على هذا اليقين هو من باب البديهيّات التي وضعتها الفلسفة نفسها في واجب الوجود، وأسباب الإيجاد والغاية من الإيجاد، ونحن نقول: إنَّ القرآن الكريم قد أجاب على هذه الأسئلة كلّها، فواجب الوجود هو الذي خلق الكون وأوجده بما فيه: قال تعالى: {هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ}[87]، وأمّا سبب الإيجاد فقوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً}[88]، وغاية الإيجاد هي العبادة: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}[89]، وقال تعالى: {يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ}[90]. وأمّا الهدف فقوله تعالى: {لِيَجْزِيَ

---

[87] الحشر 24.

[88] البقرة 30.

[89] الذاريات 56.

[90] الجمعة 1.

اللَّهُ كلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ}91، وبعد ذلك فإنَّ لهذا الإيجاد استقراره؛ فقد قال تعالى: {وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الجنّة وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ}92.

لقد حاولت بعض الاتجاهات الفلسفية أن تملأ أدوات التهيّؤ بتصوّرات معرفيّة مختلفة عن الكون والغيب والوجود والإنسان: لماذا جاء؟ وإلى أين يذهب؟ ولكنَّها عجزت تماما.

والسّبب في ذلك أنَّها عمدت إلى استعمال أسلوب العلم التجريبي على افتراض أنَّ الإنسان مادّة، وحاكمته على هذا الأساس، وبذلك نسفت المشاعر والأحاسيس التي هي من متعلّقات تهيّؤ القلب والرُّوح في الوصول إلى ما لا يدركه العقل، لذلك فشلت لأنَّها ظنّت أنَّ العقل البشري قادر على إدراك حقائق الأشياء خارج نطاق وظيفته الخاصّة ونطاقه المحدود.

لقد كان لطغيان هذا المفهوم المادّي أثره البعيد في هذه الاتجاهات الفلسفية التي حاولت أن تلغي كلّ ما وراء الطبيعة ولا تعترف به، لأنّها اعتمدت العلم التجريبي للوصول إلى نتائج ميتافيزيقية؛ فاعتماد الوسائل الخاطئة في عملية البحث أدّى إلى نتائج سلبية، غير

---

91 إبراهيم 51.

92 الشورى 7.

أنَّ العلم اليوم أصبح يعترف بأنَّ هناك عالما آخر، وأنَّ أمام العلماء من الدلائل ما يؤكّد ذلك؛ فكيف تنكر هذه الفلسفة هذا العالم؟

إنَّها اعتمدت على العقل والحواس وهما قاصران، والعلم نفسه يعترف بأنَّ العقل البشري لا يستطيع أن يدرك شيئا إلَّا عن طريق الحواس، ولذلك فإنَّ كلِّ ما يقع وراء الحسّ والعقل لا يمكن للعلم أن يبحث فيه أو أن يعرف عنه شيئا. ولقد تبيّن أن هناك مسائل عديدة لا يستطيع العلم أن يجد لها حلّا ولا يصل إلى فهمها، واعتماد الفلسفة والعقل والحس لا يؤدّي إلى شيء، إذن فهناك علم آخر مكمّل لهذه العلوم، هو ذلك العلم الذي أرسل الله به الرُّسل وجاء به الوحي، وقرّره كلّ كتاب سماوي.

وإذا عجز العلم، وطاشت الفلسفة؛ فإنَّ في أيدينا نحن المسلمين ما يسدّ الفراغ، ولقد أعطانا الدّين الحقّ صورة كاملة لهذه الجوانب التي يعجز العقل والعلم عن الكشف عنها، حتَّى لا نكون في متاهة البحث الشّاق بتغيّر أدوات البحث الذي لا يصل إلى شيء، ولقد جاءت رسالات الأنبياء لتمنح الإنسان ذلك الأفق الواسع الرّحب من الفهم، ليعرف أبعاد وجوده وكيانه وحياته ومصدره ومآله، ويعرف ما بعد الموت، وما بعد الطبيعة جميعا حتَّى تكون رؤيته للأشياء وتقديره سليما، وحتّى تكون إرادته الخاصّة ومسئوليّاته الفردية قائمة على أساس من الفهم والعدل.

إنَّ وراء العقل الرُّوح والمتهيّئات النّفسيّة، ووراء البصر البصيرة والمتهيئات القلبيّة. والعقل هاد يستمدّ ضياءه من الرُّوح وكلاهما: العقل والبصر لا يدرك ما فوق مرتبته ولكنّه يستطيع أن يعلم؛ فإنْ رأيت حجرا يرتفع في الهواء، وهذا مخالف لقوانين الطبيعة، عندئذٍ سوف تحكم أن راميا رمى به؛ فعلمك أنَّ راميا رمى به ليس من قبل البصر، بل هو من قبل التهيّؤ للعقل، لأنَّ العقل هو الذي يميّز ويعلم أنَّ الحجر لا يذهب في العلوّ من تلقاء نفسه، وهذا يدلّ على أنَّ البصر وقف عند حدِّه؛ فلم يتجاوزه، وإنَّما تدخّلت وسيلة أخرى للكشف عن حقائق الأشياء، وكذلك يقف العقل عند حدِّه من معرفة الخالق تبارك وتعالى فلا يعدوه.

إذن هناك التهيّؤ اليقيني الذي مصدره الرُّوح والقلب، لمعرفة الخالق باليقين عن طريق السّمع ممّا جاءنا من الخبر المتواتر.

وعليه؛ فعدم العلم بوجود الشّيء لا يعني عدم وجوده، وعدم القدرة على الإحاطة بوجود الشيء لا يعني انتفاءه، خاصَّة إذا كانت الأداة المستعملة في الكشف عنه (وهو العقل) أقلّ وأصغر من الموجود نفسه.

وهنا نقف على محدودية العقل، ومحدودية مهمّة العلم، وعجز هذا النّوع من الفلسفات عن طريق العقل في الوصول إلى كُنه الأشياء

وحقائق الوجود، والله تبارك وتعالى لا تدركه الأبصار، ولكنّها تعرفه في خلقه ونظام كونه: {وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ}[93].

أمّا النّوع الآخر من الفلسفات التي تسعى إلى النتائج بأدوات من جنس النتائج المرجوة؛ فقد أثبتت تهيّؤ الإنسان الفطري إلى معرفة الخالق عزَّ وجلَّ، حيث إنَّ قصّة حي بن يقظان التي كتبها الفيلسوف الإسلامي ابن طفيل، وهو أستاذ ابن رشد، وقد عبَّر عن أفكاره وآراءه القائلة بعدم التعارض بين العقل والشريعة، أو بين الفلسفة والدّين، وتهيّؤ الإنسان إلى معرفة الخالق بالتهيّؤ الفطري:

"نشأ بطل القصّة حيٌّ بن يقظان في جزيرة معزولة، وكان قد ألقي فيها طفلا، أو أنّه نشأ بشكل طبيعي من مادتها وترابها، وبعد أن نما وترعرع، تأمّل الكون الذي حوله؛ فوصل إلى حقيقة التوحيد بالفطرة، وينتقل إلى جزيرة أخرى؛ فيلتقي بشخصين هما سلامان وأبسال. يعلِّم الأوّل منهما أهل الجزيرة الذين يتدينون تدينا سطحيا الحقائق الإلهية والوجودية عن طريق ضرب الأمثال، بينما يميل الثّاني إلى التأمُّل والنّظر العقلي وفيه نزعة صوفية.

[93] الذاريات 20، 21.

ويدرك حيٌّ بعد أن يتفاهم مع أسال أن ما توصّل إليه من إدراك لحقائق الوجود والكون بالفطرة، وما ورثه أسال عن طريق النبّوة إن هو إلّا وجهان لحقيقة واحدة؛ فالكون واحد والخالق واحد، وهو ربّ السّموات والأرض وصانع الموجودات، قد نصل إليه عن طريق التأمُّل الذّاتي كأفراد. لكن الجماعات بحاجة إلى طريقة أسال في ضرب الأمثال الحسّية لمعرفة ذلك، لأنَّه لا قدرة للعامّة على إدراك الحقيقة المجرّدة التي قد يصل إليها أصحاب التأمُّل الذاتي والنّظر العقلي. والنبوُّة حقّ، ولابدَّ منها، والخليقة بحاجة إليها للوصول إلى معرفة الخالق، إلَّا أنَّ حَيا لا يكاشف أهل الجزيرة بالحقيقة كلّها، ويعود مع أسال إلى الجزيرة الأخرى ليعبد الله عبادة روحية خالصة حتَّى يأتيهما اليقين"94.

لقد حدَّد ثلاثة مستويات من التهيّؤ لفهم الحقائق (الإلهية والشريعة والدّين)، وهي ليست بعيدة عن جوهر ما ذهبنا إليه في مستويات التهيّؤ لمعرفة الخالق لدى البشر؛ فهناك تهيّؤ العامَّة للدّين، وتهيّؤ الخاصّة، وتهيّؤ خاصَّة الخاصّة، وإن كان للدّين جوهر واحد لا يتغيّر. وقصّة حي بن يقظان وضعت أيدينا على تباين المستويات لهذا الفهم، بشكل روائي قصصي يطرح قضيّة فلسفية.

فإذا عرفنا وجب أن نتهيّأ لطاعة الخالق باتباع ما أمرنا به واجتناب ما نهانا عنه، ولكن كيف نتهيّأ للعبادات؟

---

[94] الفلسفة الإسلامية، ص 182.

نقول:

مع أنّنا ذكرنا ما ذكرناه في هذا الخصوص، ولكن لزيادة التفصيل إليك بعض من صور هذا التهيّؤ:

أوّلا: التهيّؤ للصّلاة:

نتهيأ لاستقبال يوم جديد بالتهيّؤ لصلاة الفجر التي تهيّئ المسلم للاستمرار طوال اليوم في العمل على طاعة المولى عزَّ وجلَّ، والصلوات الخمس من شأنها أن تجعل من المسلم متهيّئا لعمل الخير.

ثانيا: التهيّؤ للصوم:

شهر رمضان هذا الشّهر المبارك الذي يهلُّ علينا في السّنة مرّة على المسلمين كافّة، وقد هيّأه الله تعالى لأن يكون شهر المغفرة والتّوبة والإكثار من الحسنات بأن جعل فيه من المكرمات الكثير كما جاء في قوله تعالى: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآَنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}[95]، وبالتّالي كان هذا الشّهر مهيئا للمسلمين لنيل الخيرات والحسنات،

[95] البقرة 185.

ويبدأ التهيّؤ لشهر رمضان بالتهيؤ لتوديع شهر شعبان أولا، فنتهيأ لهذا الشهر بالتالي:

ترقب ظهور هلال شهر رمضان.

نتهيأ في السّحور للإمساك عن الطعام.

نتهيأ في هذا الشّهر بالذات لكبح الشهوات.

وهناك تهيّؤ لليلة القدر.

ثالثا: التهيّؤ للزّكاة

يتهيأ الإنسان للزّكاة بحصره لما يملك.

رابعا: التهيّؤ للحجّ

إذا نوى الإنسان المسلم أداء فريضة الحج فإنّه يكون قد تهيَّأ لهذه الفريضة بالأمور التالية:

1- يقوم هذا الإنسان بطلب السّماح ممّن أساء إليهم.

2- أن يقوم برد أيِّ أمانة لصاحبها.

3- أن يتهيّأ لتهيئة المرافق والحاجات المادية الأخرى التي تلزمه لأداء هذه الفريضة.

الوعي يمكّن من التهيؤ:

الوعي قيمة ترشد إلى حصول المعرفة بعد غفلة عن أمرها، وهي تنبُّه لِما يجب ولِما لا يجب؛ فيؤدّي هذا التنبُّه إلى حُسن التصرّف وتوازن الشخصيّة، ممّا يجعل الوعي المعرفي مُمكّن لأصحابه من حُسن الاختيار والتصرّف، ومن رسم السياسات، وتطلّع آفاق المستقبل، وإحداث النُقلة. وهكذا؛ فالواعون دائما هم متهيؤون لحمل المسؤولية.

إذن الوعي يهيّئ الإنسان لِما يجب مع انتظار لمواعيد وجوبه بهدف أدائه على ما يجب أن يكون عليه، فالتهيّؤ وعيا لا يكون إلّا من أجل المستقبل وعندما يأتي المستقبل يكون الفعل محقّقا له بالإرادة.

ولذا كان تهيّؤ إبراهيم عليه الصّلاة والسلام لحمْل المسؤولية تهيؤ الواعين المدركين للحقائق والأشياء والكيفيات التي هي عليها {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}[96].

ترشد هذه الآيات الكريمة ممّا ترشد إليه إلى إنَّ إبراهيم صلى الله عليه وسلّم كان موقنا بقدرة الله تعالى لعلمه أن الذي يخلق ويُميت قادر

[96] البقرة 260.

على أن يحي الموتى، وهذه القناعة إنّما هي تهيّؤ إبراهيم للوقوف على الحدث لوعيه وعلمه بأنّ الله قادر على إحياء الموتى، ولكنّه طلب أن يُريه الله كيف يحيي الموتى وذلك لأجل الاطمئنان؛ فسأل إبراهيم ربّه أن يريه كيف يحيي الموتى لغاية أن يصير علمه وعيا عيانا، وقد شرّفه الله بعين اليقين وبحقّ اليقين الذي هو أعلى المقامات، وعين اليقين هو المعاينة لا مرية فيه"97 فالتهيّؤ للفعل الخارق للعادة موجود وقائم في نفس إبراهيم صلى الله عليه وسلّم، ولولا هذا التهيّؤ لما طلب من الله تعالى مشاهدة عملية إحياء الموتى.

ولذلك كان إبراهيم متهيّئ للرّسالة فحملها، وتحمّل كل المترتّبات على حمْلها.

وعليه فالله سبحانه وتعالى قد هيّأ كلّ شيء في هذا الكون وفق مشيئته بما أراده سبحانه وتعالى؛ فالمهيّئ المطلق هو الذي يتّصف بكمال الفعل ومطلق الصفة، وعلى هذا يكون التهيّؤ المطلق على نوعين:

1- تهيّؤ كلّي يخضع له كلّ ما في الكون بما هيّأه الله تعالى، وآيات تهيئة الكون أكثر من أن تحصى؛ ففي قوله تعالى: {وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ

[97] تفسير حقي 2/ 92.

زَوْجٍ بَهِيجٍ}[98]، فالناظر إلى الأرض قبل نزول الغيث رحمة يراها هامدة ميتة، ولكن كونها مهيّأة لإنبات الزرع والأشجار ودبيب الحياة فيها؛ فعندما تسقى الماء تنبت من كلِّ زوج بهيج، وفي قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}[99]؛ فالشمس مجعولة على التهيّؤ لأن تكون ضياءً، والقمر مهيّأ لأن يكون نورا، بدليل أنّ الذين نزلوا على القمر لم يقولوا: إنّ للأرض نورا ينعكس على القمر مثلما ينعكس نور القمر على الأرض، علما أنَّ ضياء الشمس يسطع عليهما جميعا، ذلك أنَّ الأرض مهيأة للحياة، وأن القمر مهيأ لأن يكون نورا لهذه الحياة.

وهكذا كان التهيّؤ الكلّي لجنس الإنسان في انتشار البشر من نفس واحدة الذي يكمن في تهيّئة آدم صلى الله عليه وسلّم وخلق زوجه معه ثمّ خلق البشر منهما، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}[100]؛ فمع أنَّ النّاس كلّهم من نفس واحدة، فإنّ أشكالهم

[98] الحج 5.

[99] يونس 5.

[100] النساء 1.

وألوانهم وألسنتهم اختلفت وفقا لِما هم متهيّؤون عليه، وهذا يدخل ضمن التهيّؤ الكلي للنفس الأولى التي خلقوا منها.

2- تهيّؤ جزئي على مستوى أفراد الأشياء من إنسان وحيوان ونبات وجماد، وكلّ واحد من هذه الموجودات لها تهيؤها المناسب لخلقها وطباعها وما جبلت عليه؛ فالإنسان بخلقه وطبعه وعقله مهيّأ لأشياء كثيرة من أجل إعمار الأرض وفلاحها وإصلاحها بالأفعال الحِسان التي إن فعلها كان من الوارثين في الدارين، قال تعالى: {أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ}101 فكلّ ذلك هو تهيّؤ لما بعده، ومن عجائب التهيّؤ في العين أنّها مهيّأة لترى في دائرة الممكن جميع الأشياء كبيرها وصغيرها، وجليلها ودقيقها، بحجمها الطبيعي وبُعدها الحقيقي، إضافة إلى ذلك فإنَّ حدقة العين مهيأة للتقلّص والتمدّد؛ ففي حال اشتداد الضياء تتقلّص الحدقة بحيث تأخذ من الضياء ما يكفيها للرؤيا والإبصار، ولا تسمح بدخول ضوء أكثر من حاجة العين؛ فهذا التناسب العكسي بين العين من جهة والضياء والظلام من جهة ثانية، إنّما يدل على تهيّئة المهيأ عز وجل للخلق من أجل شؤونهم.

إنَّ خلق الإنسان من سلالة من طين دليل تهيّؤ، ذلك أنَّ الأرض ينبت فيها الطيّب والخبيث، ومنها السّهل اللين ومنها الوعر

---

[101] البلد 8. 10.

القاسي، ومنها الشديد الصّلب، ومنها الرخو الطيّع، وهو تهيّئة لما سيكون عليه الإنسان، منهم الغليظ الفجّ ومنهم دمث الأخلاق، والمؤمن والكافر والطائع والعاصي، والعاق والمرضي هذا بداية، ثمّ بعد ذلك جعل الله تعالى الإنسان في ذرية آدم صلى الله عليه وسلَّم وهيأه على شكل نطفة، وهيّأ لهذه النطفة قرارا تستقر فيه محفوظة من الريح والفساد وفق جوّ يلائمها ودرجة حرارة تناسبها، وفي هذه التهيئة، تهيّؤ لمرحلة قادمة، ينتقل من بعده إلى علقة من دمٍ، وتدخل في تهيّؤ جديد إلى مرحلة المضغة، ثمّ تدخل المضغة مرحلة تهيّؤ أخرى حتى يتسنّى لها أن تصبح عظاما، ثمَّ يكسوها لحما، وفي هذه المرحلة يكون هذا الخلق مهيّأ للتكوين الإنساني، وهنا يدخل مرحلة تهيّؤ مادي عضوي لتقبل الحياة الجديدة المقبل عليها، من أخذ شكل الإنسان في تكوين الأطراف الخارجية والأجهزة الداخلية التي تهيّؤه للحياة؛ فيتكوّن الجهاز الهضمي والجهاز العصبي والجهاز التنفسي والدورة الدموية؛ فكلّ هذه الأجهزة والأدوات والأعضاء، إنّما هي في طور التهيّئة، ولا يتمّ استعمالها إلّا عندما ينتقل من عالمه الداخلي إلى العالم الخارجي.

فالله سبحانه وتعالى عندما أراد بمشيئته أن يكون الإنسان خليفة في الأرض، هيّأه وهيّأ له الأسباب التي يكون بها خليفة بحقّ فيما أراده الله تعالى له، وأول هذا التهيّؤ في خلقه وتكوينه ما ترشد إليه الآية في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ

فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ}[102] فقد سوّاه وجعل الأعضاء سليمة سوية معدّة لمنافعها وعدلها بعضها ببعض بحيث اعتدلت ولم تتفاوت، وصرفها على هذه الخلقة الملائمة لهذا الشكل وهيّأها لما أعدت له، ثمَّ ركَّبها بالصورة التي شاءها بحيث تصلح للعبادة والخلافة في الأرض من أجل إعمارها.

فالتسوية تهيّؤ بحيث جعل أعضاء الإنسان سويّة سليمة معدّة لمنافعها، ليترتّب على كلِّ عضو تهيّئته للمنفعة التي خُلق ذلك العضو لأجلها، كالبطش لليد والمشي للرجل والتكلّم لِلّسان والإبصار للبصر، والسمع للأذن واللّسان للّفظ والذوق، إلى غير ذلك من تهيئة بقية الأعضاء، وتعدل بعض تلك الأعضاء بالبعض الآخر بحيث اعتدلت ولم تتفاوت.

علاقة التهيؤ بالإرادة:

مع أنّ الإرادة امتلاك زمام الأمر بلا سُلطان خارجي، ولكن لا إرادة بدون تهيّئو، ولا تهيؤ بدون إرادة، وبهما يتمكّن الإنسان من الاختيار الحرّ، وبودنهما يُقهر، وهما معا يمكّنانه من بلوغ الوعي بما يجب وبما لا يجب مع وافر الحرّية، ومن هنا؛ فالتهيؤ والإرادة منبعا الأمل

[102] الانفطار 8.6.

للذين يأملون بلوغ غاياتهم بلا تدخّلات على حساب القيمة والكرامة الإنسانية.

والإرادة بدون تمكين الأفراد والجماعات من ممارستها يظل مفهوما مجرّدا ليس إلّا، ولهذا؛ فأهمية الإرادة هي أن تجسّد في الأفعال، حتى يتمكّن النّاس من بلوغ ما تهيؤا له وما يأملون، ومن ثمّ؛ فالتمكّن من الإرادة إرادي، أمّا التمكين منها فمسؤولية من يتولّى مسؤولية سواء أكانت أسرية أم اجتماعية أم وطنية أم إنسانية.

ولأنَّ الإرادة وعي بما يجب وبما لا يجب؛ فهي قرار يصدر للإقدام الاختياري دون إكراه على ما يجب أو ما لا يجب، مع تحمُّل ما يترتّب عليه من أعباء ومسؤوليات، والإرادة وثيقة الصّلة بالتهيؤ والوعي الذي يمكّن من تحقيقها ويخرجها من المعنوي إلى المحسوس، الذي يُظهر العلاقة القويّة عن ثقة مع الموضوع الذي به ظهرت إلى حيّز الوجود المشاهد والملاحظ.

والإرادة في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع تكون مسؤولة وقد لا تكون؛ فعندما تكون مسؤولة عن الأخذ بالبديل تحقّق للفاعل وللموضوع الاعتبار والاعتراف والتقدير، وعندما لا تكون مسؤولة عن اختيار البديل لا تحقّق لصاحبها الاعتبار ولا الاعتراف ولا التقدير، بل تحقّق له النّدم يوم لا ينفع.

فالإرادة قرار يحمل مسؤولية، والمسؤولية لا تكون إلّا بوعي تام بما سيتحمَّله الإنسان مع وافر الرّضا بما سيترتّب على ما سيقدم عليه من عمل أو سلوك حيث لا إجبار من أحدٍ، ومن هنا؛ فالإرادة من بعد التهيؤ والتأهّب تمكن الآمل من مأموله.

ولأنّ الإرادة تمكين، فهي منبع أمل، وهي نتاج قرار قابل للتنفيذ، وهي بعد التنفيذ في دائرة المتوقّع تُمكِّن الإنسان من تحمُّل أعباء المسؤولية دون تردّد، أمَّا الإقدام على الفعل بدون توافر الإرادة؛ فقد لا يحقّق للفعل إنجازا بأسباب الخوف والتردّد، وإن تمّ إنجازه إكراها فلن يكون مثالا.

والإرادة المسؤولة الواعية هي التي لا يتخلّى فيها الإنسان عن تحمُّل ما يترتّب عليها من أعباء جسام، ومن ثمّ فلا يترتّب عليها ندما، ولهذا؛ فلكلِّ شيء قاعدة إصلاحية واستثناء إفسادي. والاستثناءات هي التي يقدم على أفعالها المارقون أو المنحرفون، وبخاصّة أولئك الذين يتربّعون على قمّة السّلطان ولا يحيدون عنه، وكأنّ الأوطان لم تنجب غيرهم من بني الوطن أو كأنّ الشّعب (كلّ الشّعب) لا يوجد فيه متهيأين ولا متأهّبين ولا مؤهّلين لحمل المسؤولية وتحمّل ما يترتّب عليها من أعباء.

ولذلك في مقابل هذه القواعد المنظّمة لممارسة الحرّية تظهر الاستثناءات من قِبل الأنا (الشّخصانية)، ممّا يجعل مَنْ وضع نفسه على قمّة سلّم السّلطان مهيمنا على كلّ أمر سياسي واقتصادي واجتماعي في خانة الاستثناءات مطاردا، حتى وإن نصَّب نفسه شرطيًّا مدَّعيا سلامة الوطن والأمن العام وتنفيذ القوانين بحزم، أو حتى وإن نصَّب نفسه واعظا ومرشدا بما أنّه في دائرة الاستثناءات لن يكون إلّا مطاردا حتى النّهاية.

ولهذا؛ فكلّما اشتدّت المطاردة واشتدّت التأزّمات بين قاعدة الاعتبار وقمّة سلّم السّلطان، وهُدّد الآخرون بالموت من قِبل من هم في دائرة الاستثناءات، أصبح الموت عندهم مطلبا مع توافر الرّغبة، ولهذا؛ يفقد من هو على قمّة سلم السّلطان مكانته، ويفقد الشّرطي سلاحه، والواعظ حُجَته التي بها يلاحق الآخرين، ويكون كلّ منهم ضحية مستبدلا بلا ثمن.

وعليه؛ فإنَّ الموت الذي هو سلب الحياة يتحوّل إلى قيمة مقدّرة إيجابا بها يتمّ نيل الاعتراف والتقدير والاعتبار عندما يكون عملا يرجو الإصلاح أملا وارتقاء.

والبعض من النّاس يتصوّر أنَّ الإرادة هي حُسن الاختيار، لكن لو كان الأمر كذلك، لكان المسميان لمعنى واحد، والدّليل على ذلك

أنّ الإرادة عندما تكون أمام أمرين فإنّها تختار أحدهما أو تستبدله دون الآخر، وكذلك؛ فإنّ الإرادة عندما تتخذ قرارها يكون هذا القرار في اللحظة نفسها اتجاه هذا الأمر، أمّا الاختيار فيكون من أمور متعدِّدة يقع الاختيار على واحد منها يتمّ دفعه للإرادة التي تتّخذ قرارها فيه.

فالاستبدال، إمّا أن يكون بين أمرين، أو بين اختيارين وفقا لِما تمليه القيم، أو ما تمليه المصلحة، أو حتّى ما تمليه الأطماع، وإمّا أن يكون الاستبدال الإرادي من متعدّد البدائل؛ فالإنسان بإرادته الحرّة يستطيع أن يختار أو يستبدل ما يشاء وفقا لتفضيلاته، أو وفقا لِما هو أقلّ ضررا، أو لِما هو أكثر ضررا من غيره؛ فأصحاب الشرّ لا يفضِّلون غيره بإرادة، وأصحاب الحقّ والخير لا يفضّلون غيره، وهكذا كلّ شيء بإرادة والتهيؤ من ورائه محفّز يجعل الاختيار ميسّرا متى ما توافرت الاستبدالات، ومن بين هذا وذاك في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، يستطيع الإنسان أن يُرتِّبَ بدائله وفقا للمتاح مع مراعاته للظرف الزّماني والمكاني ولكلّ خصوصية لا تتطابق مع خصوصيات الآخرين وإن تماثلت معها.

ولأنّ العلاقة قويّة بين الإرادة والتهيؤ والاختيار والرّغبة في الاستبدال، ودرجة التفضيل بين ما هو قابل للاختيار منه، أو قابل لاستبداله بالكامل، فإنَّ التقييم للاستبدالات أو الاختيارات والتفضيلات يُسهم في تهذيب الإرادة وتطويرها وتغييرها من أجل

استبدال ما هو أفضل أو أنفع، وهكذا تتحسّن الأحوال وتقوَّم من قِبل الواعين بما يجب وبما لا يجب، لتكون السُبل ممهّدة تجاه غايات مستنيرة بالحقّ وموجبات إحقاقه.

فالاستبدال الإرادي هو في واقع الأمر تقديري، بمعنى أنّه يقوم على تقدير الأنا للقيمة المفترضة، ثمَّ تقييم تلك القيمة وصولا إلى قرار الضّرورة الإرادية للاستبدال؛ فالتعويض مثلا، هو استبدال إرادي لفاقد يجب تعويضه لضرورة أو لرغبة أو حاجة103.

ولهذا فالإرادة قرار اختياري يؤخذ بوافر الرّغبة تجاه كلّ ما من شأنه أن يحقّق الرّضا في حدود الوعي بما يجب وبما لا يجب، مع تحمُّل ما يترتّب عليه من أعباء ومسؤوليات، وكذلك التهيؤ كونه حيوية تحرّك النفس تجاه المرغوب سيكون مرتبطا بالإرادة واختياراتها الحرة، ولذا فالإرادة وثيقة الصلة بالوعي بعزيمة تحقّقها وتخرجها من المعنوي إلى المحسوس الذي يُظهر العلاقة القويّة عن ثقة مع الموضوع الذي به ظهرت إلى حيّز الوجود المشاهد والملاحظّ بعد تهيؤ ورغبة.

والإرادة في دائرة الممكن قد تكون مسؤولة وقد لا تكون؛ فعندما تكون مسؤولة تحقِّق للفاعل وللموضوع الاعتبار، والاعتراف، والتقدير، وعندما لا تكون مسؤولة لا تحقّق لصاحبها الاعتبار ولا

---

[103] عقيل حسين عقيل، الهوية بين متوقع وغير متوقع، ص 178 . 180

الاعتراف ولا التقدير، بل قد تضعه في السّجن أسيرا بين الجدران، ومع ذلك لكلٍّ مبرّره، والمهم في هذا الأمر بما أنّها الإرادة؛ فهي المعبّر عن الحقيقة ولو تمَّ إنكارها عن غير تهيؤ.

وعليه ينتفي الإرغام والإكراه وكلّ أساليب الإجبار المهينة كلّما وعى الإنسان إرادة بما يعمل أو يفعل أو حتى فيما يفكّر ولِما يتهيأ ولمن يستعدّ؟ ومتى يتأهّب؟ وبماذا؟

فالإرادة هيّ قيمة تحقيق المكانة التي يسعى النّاس إليها، ممّا يجعل المستهينين بالآخرين مستهان بهم سواءً أكانوا على دراية بذلك أم لم يكونوا، ومن يجعل للآخرين مكانة يجد له عندهم مكانات، ومن يعتبر ويتّعظّ لن تكون له حاشية إلّا من المتّعظين، ومع ذلك في دائرة الممكن كلّ شيء متوقّع فلا داعي للغفلة، ولا داعي لاستغفال الآخرين، ولا داعي لسلب إراداتهم.

ولأنَّ الإرادة حقّ؛ فينبغي أن تمارس بحرّيّة في دائرة ترسيخ الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة، ولأنّها حقّ ينبغي الاعتراف بممارستها، ولهذا يسعى الإنسان دائما لنيل الاعتراف لأجل تبوأ مكانة اجتماعية أو علمية وإنسانية.

وهنا ينبغي أن نميّز بين الإرادة الفرديّة والإرادة العامّة؛ فالإرادة الفردية هي في حدود الخصوصيّة التي تتساوى فيها مع خصوصيات الآخرين دون اختلاف وإن كان هناك تنوّع وتهيّؤات مختلفة.

أمّا الإرادة العامّة؛ فهي التي يتمُّ توصيفها بصلاحيات واختصاصات تشريعية وقانونيّة، وهي القابلة للتقييم والتقويم وفقا لمعايير موضوعيّة متّفق عليها بمقاييس الجودة. ذلك لأنّ الإرادة قرار يحمل مسؤولية، والمسؤولية لا تكون إلّا بوعي تام بما سيتحمَّله الإنسان مع وافر الرّضا بما سيترتّب عليه.

ولأنّ الإرادة نتاج قرار قابل للتنفيذ؛ فهي بعد التنفيذ تُمكِّن الإنسان من تحمُّل أعباء المسؤولية دون تردّد، أمَّا الإقدام على الفعل بدون توافر الإرادة قد لا يحقِّق للفعل إنجازا موجبا أو لم يُنجز أصلا بأسباب الإجبار والإكراه أو بأسباب الخوف والتردّد.

ومن ثم فإنَّ الإرادة المسؤولة هي الإرادة الواعية التي لا يتخلّى فيها الإنسان عن تحمُّل ما يترتّب من أعباء جسام، ومن هنا فلا يترتّب ندم في نفس من أقدم على أدائها، ولهذا يكون لكلِّ شيء قاعدة إصلاحية واستثناء إفسادي.

ولذا فمن يتهيأ ويقرّر أن يواجهك عن إرادة؛ فعليك ألا تستهين بالأمر؛ وعليك أن تعرف أنَّ الإرادة كفيلة بأن تُنجز في دائرة الممكن غير المتوقّع ما لم يكن في دائرة الممكن متوقعا104.

علاقة التهيؤ بالاستعداد:

التهيؤ حيويّة تسري في العقل البشري فتثيره تفكيرا ينتج مأمولا يستوجب الاستعداد قدرة وإمكانية، مع خطّة ترسم وفقا لأهداف قابلة للإنجاز، ومن هنا، يصبح المأمول نصب الأعين حتى يتمّ نيله.

ولهذا لا استعداد إلّا والتهيؤ مركزه، ولا استعداد إلّا والجهد يبذل وهذا الأمر يجعل التهيؤ والاستعداد معا مندمجين قوّة، وترتيبها وتصنيفها من أجل الفعل أو العمل أو المأمول نيله، والاستعداد لو لم يسبقه تهيؤ لا يزيد عن كونه مفهوم قابل لأن يفسّر، ولذلك فهو الضرورة التي تسبق أيّ عمل أو فعل، وبدون التهيؤ والاستعداد معا لا تُبلغ الآمال، ولهذا فهو منبع أمل لفعل يُفعل، أو هدف ينجز، أو غاية تبلغ؛ فالاستعداد لا يكون إلّا عن دراية لما يجب، وهو أخذ الحيطة من الفشل، وتجنب الوقوع في السُفليّة، وهو لا يكون إلّا والتهيؤ قد دفع به دفعا.

---

[104] عقيل حسين عقيل، الإرهاب بين قادحيه ومادحيه، ص 39 ـ 43.

فالاستعداد مرحلة ما بعد التهيّؤ عن إرادة، وهو لا يكون إلّا مرحلّة لاحقة لهما ومعتمدة عليهما؛ فالاستعداد تجميع للقوّة الممكِّنة من تنفيذ الفعل مع أخذ الحيطة من الوقوع في الفشل أو الغفلة، ولا يكون إلّا من أجل أهداف يُراد لها أن تنجز بما أُسِّست عليه من تهيّؤ وإرادة.

إنَّه استمداد للقوّة المعنوية والمادّية من مصادرها، مع اختيار الأجود والأفضل لأداء الفعل ومراعاة الظّرف الزّماني والمكاني والتوقيت المناسب.

فالاستعداد يكون لأداء الفعل من الفاعل المتهيّئ الذي امتلك الإرادة وجمَّع متطلبات الاستعداد المحقّقة للأهداف، وهو المرحلة التي يتمّ فيها إعداد العُدَّة وحصر الإمكانيات بعد دراسة وافية وخطة مُحكَّمة لتنفيذ الفعل؛ والاستعداد لم يكن العُدَّة ولا الإعداد، بل هو الجهد المبذول تخطيطا وتجهيزا من أجل توفير ما يلزم لتنفيذ الفعل أو خوض المعركة قبل أن تشتعل نيرانها وتشبّ، ممّا يجعل العُدّة والإعداد جزءا من الاستعداد وليس متطابقتان معه في الدلالة والمعنى.

فالعُدّة هي استحضار وسائل القوّة المادّية بأدواتها التي تُمكِّن من أداء الفعل، وهي مجموعة الوسائل التي يستعين بها الإنسان ليتوجَّه إلى ما يُمكن أن يحدث في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع؛ ولذا فما يعدّه

الإنسان لحوادث الدّهر من مال وسلاح لمواجهة ما يهدّده يجلب له نفعا أو يدفع عنه ضررا يسمى العُدّة، وهي التي لا تعدّ إلّا بحيوية التهيؤ.

أمَّا الإعداد؛ فهو الذي يُمكِّن من ممارسة الفعل بنجاح ويمنح المستعدّ الكفاية، وهو تدريب عملي على استخدام ما يمتلكه المستعدّ من عُدَّة تعينه على جلب نفع أو دفع ضرر.

والعلاقة وثيقة بين الاستعداد والفعل، فلا يقدِم على الفعل ويحقّق النّجاح أو الفوز إلّا المستعدّ بإعدادٍ جيدٍ؛ فإذا كان الهدف دخول الامتحان وتجاوزه بنجاح، فلابدّ من الاستعداد له قبل أن يأتي، أي: يجب القراءة والمراجعة والتعرّف على الممكن المتاح حتى لا تحدث المفاجأة يوم الامتحان. وكذلك إذا كان المستعدّ له دخول حرب؛ فلابدّ من الاستعداد النفسي والمعلوماتي والتدريب والتأهيل ورسم الخطط الرئيسة والبديلة، وكلّ ما من شأنه أن يفاجئ الخصم ويقلل الخسائر وفي المقابل يحقّق نصرا.

الاستعداد يستوجب تهيؤ من بعده اجتماع النيّة وتمام القصد في أداء الفعل مع تحمُّل نتائجه سلبا وإيجابا، وهذا يجعل (الاستعداد) من الرّسوخ في القلب بمكان، فإذا امتلك المرء أدوات الاستعداد أقدم على

فعل يُنجز عنده، وقد يكون غير متوقّع الإنجاز عند غيره؛ فالفشل مفردة منزوعة من قلب من تهيّأ للنجاح بإرادة واستعدّ له.

فالاستعداد هو أخذ الحيطة والحذر واستحضار القوّة العقليّة والفكريّة والنفسيّة والمادّيّة التي تؤدّي إلى الإقدام على تنفيذ الفعل دون تردّد بعد اتخاذ الإرادة قرارها؛ فالأفراح والأحزان والحرب والسّلام والأعياد والمناسبات، كلّها مواقف ومناسبات يتمّ الاستعداد لها باستمداد القوّة المادّية والمعنوية التي يستطيع الإنسان من خلالها أن يسيطر على تلك المواقف، ويُسخّرها وفقا لإرادته كما يشاء ويرغب أو كما يُفضّل ويستحسن، وللاستعداد أنواع منها.

علاقة التهيؤ بالتأهّب:

التهيؤ إثارة النّفس والالتفات إليها لتنهض عمّا هي فيه، وهو مرحلة ما قبل النّهوض، أمّا التأهّب فهو الإنذار بالنّهوض؛ فالتأهّب فطنة، وحسابات عقلية وبصرية مع شدّة الملاحظة والتربّص بأيّ حركة أو محاولة للتمدّد في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع من قِبل من أعدت له العدّة وتمّ التأهّب له مواجهة؛ فللتأهّب فطنة أمل تدفع إلى إنجاز ما يترك أثرا يُمكِن قياسه، مع قبول دفع الثّمن من قبل المتأهّب كونه عن وعي يدرك ما تأهّب من أجله.

ولهذا لا إمكانية لفصل التهيؤ عن التأهّب إذا أردنا نيل المأمول، ذلك لأنَّ التهيؤ يتجاوز دائرة التفكير والتخطيط إلى دائرة الاستعداد ثمّ إلى التأهّب الذي لا يمكن ظهوره إن لم يكن التهيؤ من ورائه حيوية وإرادة واستعدادا.

فالتهيؤ منبع الفطنة، أمّا التأهّب فهو الفطنة في ذاتها، وهو منبع أمل كونه المِمكّن من دخول الفعل والإقدام على العمل؛ فالتأهبّ قيمة تلفت المتأهّب لما يجب الالتفات إليه حيث لا حيّز في ذّهنه للغفلة أو الانفلات.

ولكلٍّ من التّهيؤ والتأهُّب مفهوم ودلالة وفقا للآتي:

. عندما يكون التهيؤ تفكيرا فيما يجب يصبح التأهّب الانتباه، لِما يجب.

. عندما يكون التهيؤ تخمين تجاه ما يجب، يصبح التأهّب الدّراية بما يجب.

. عندما يكون التهيؤ حيرة تجاه ما يجب، يصبح التأهّب اليقظة حول ما يجب.

. . عندما يكون التهيؤ التفات تجاه ما يجب، يصبح التأهّب إقدام على ما يجب.

. عندما يكون التهيؤ غموض تجاه ما يجب، يصبح التأهّب الوضوح تجاه ما يجب.

. عندما يكون التهيؤ شكّ فيما يجب، يصبح التأهّب التيقُّن بما يجب.

. عندما يكون التهيؤ محاولة للمشاركة تجاه ما يجب، يصبح التأهّب بلوغ فرصة للمشاركة في ما يجب.

. عندما يكون التهيؤ اندفاع تجاه ما يجب، يصبح التأهّب وعي بما يجب.

. عندما يكون التهيؤ حيويّة تجاه ما يجب، يصبح التأهّب هو السّلوك تجاه ما يجب.

. عندما يكون التهيؤ تردّد تجاه ما يجب، يصبح التأهّب الإصرار على ما يجب.

. عندما يكون التهيؤ رغبة تجاه ما يجب، يصبح التأهّب واجب تجاه ما يجب.

. عندما يكون التهيؤ محاولة وخطأ تجاه ما يجب، يصبح التأهّب قرار معتمد تنفيذه تجاه ما يجب.

. عندما يكون التهيؤ تحديد أهداف يمكن أن تصاغ لها خطّة، يصبح التأهّب خطط متكاملة.

ولأنَّ التأهُّب لا يجعل أحدُ يأخذ أحدٍ عن حين غرة؛ فهو مرحلة ما قَبلُ الفعل (أيّ فعل)، وهو مرحلّة ما بعد الاستعداد المؤسّس على التهيّؤ والإرادة؛ فالمتأهّب هو من بيده القرار والأمر لتنفيذ الفعل بكلِّ حرصٍ في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، أمّا التهيؤ لازال في مرحلة الفكرة والحيرة لم تغادره.

وفي الوقت الذي فيه المتهيء في حاجة إلى مزيد من التدبّر يكون فيه المتأهُّب على أعتاب تنفيذ الفعل الذي يستدعي مرابطة تستوجب أن يضع المرابط أُصبعه على الزّناد قبل أن تشتعل نار الحرب والاقتتال، وذلك بهدف ألا تشتعل، وبخاصّة عندما يكون المتأهّب حريصا على ألا يكون سببا في إشعال نار الحرب بغير حقّ.

وعليه: فإنَّ قوله تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ) تستدعي انتباه المتهيأين والمتأهّبين، وهي لا تخرج عن دائرة الاستطاعة، ولهذا جاء قوله (وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ) أي: ما تستطيعوا أن تعدّوه من رباط الخيل فأعدُّوه، إي: لا ينبغي أن تستكثروا عدّتكم من رباط الخيل مهما كثرت؛ فبما أنَّكم تستطيعون إعداد أعداد أكثر

فأعدّوا دون تردّد، وذلك لأجل تحقيق الهدف من إعداد العُدّة وهو إرهاب الأعداء المخيفين لكم عِدّة وتهديدا ووعيدا، تصريحا وتلميحا.

والرّباط هو الملازمة والمداومة، التي بها يلازم الفارس وسيلته ويداوم عليها متأهبا لخوض المعركة إن كُتبت عليه، سواء أكانت الوسيلة خيلا أم أنّها آلات حديثة ومتطوّرة؛ فبالمرابطة تطوّق الحدود والحصون والقلاع والمعسكرات وتهدّد بالاعتداء إن ظهر اعتداء منها، وإذا ما تمَّ التفاهم والتفهُّم بين الأنا والآخر تحقّق الأمن والسّلام بين النّاس أقارب على الحدود، وأباعد من وراء البحار والمحيطات.

أمّا قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا}105 تدلُّ على أهميّة قبول المعاناة في سبيل تحقيق السّلام بين النّاس، ولذلك أمر الله عباده بالصّبر والمصابرة، أي: اصبروا على ما أنتم عليه حتى تعدّوا العدّة، وصابروا من أجل تحقيق فضائل أعظم، ثمّ بعد ذلك تأهبوا بالمرابطة التي تُرهب أعداءكم.

فقوله: (وَرَابِطُوا) أي تواجدوا متهيأين ومتأهّبين مرابطين بعزمٍ وحزم على صون حدود البلاد والعباد من الذين يهدّدون ويتوعّدون ويشكِّلون خطرا عليكم في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، ولذا لا ينبغي أن تغفلوا عن تأهّبكم واعملوا على إظهار قوّتكم متأهّبين أمام

[105] آل عمران 200.

مشاهدة وملاحظة عدوّكم لقواتكم التي اعددتموها لإرهابه لا للاعتداء عليه، مصداقا لقوله تعالى: {وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}[106]؛ فالمتأهّب عن حقّ لا يعتدي، بل يتأهّب لرد عدون أو ردعه، أو إعادة مسلوب ومنهوب ومغصوب.

الاعتداء بدون شكٍّ هو ظلم في غير طاعة الله الذي نهى عن الاعتداء على النّاس بقوله: (وَلَا تَعْتَدُوا)، ولكن إن أُعتدي عليكم؛ فعليكم بالاعتداء على من اعتدى عليكم، وليكن اعتداء مماثلا لِمَا أُعتُدى به عليكم، {فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ}[107].

إنَّ إظهار القوّة والمتأهبين بها على ظهور الخيل أو الدبّابات والطّائرات والعربات والمعدات المتطوّرة ضرورة استعراضية أمام مشاهدات وملاحظات الأعداء والأصدقاء، وذلك لأجل أن يُرهَب بها الأعداء؛ فيحسبوا حِساباتهم إن فكّروا في الاعتداءِ ظلما، وفي مقابل ذلك لأجل أن تطمئنَّ قلوب الذين أمنوا من الأصدقاء فتزداد أيمنا مع إيمانهم.

---

[106] البقرة 190.

[107] البقرة 194.

إنَّ إعداد العدّة مع وافر الاستعداد والتأهب يعدّ استعراضا بمقاليد القوّة يُرهب كلَّ من تسوّل له نفسه أن يعتدي ظلما.

وقوله: (رابطوا) تحتوي في مضموها ومفهومها ضرورة استمرار التأهُّب دون انفكاك عن المرابطة حتى ينتهي من أذهانكم كلَّ ما يخيفكم من أعدائكم.

فبعد أن يرى العدوّ تأهّبكم بالعُدّة الحربيّة والقتاليّة والخيل التي قد تأهبتم عليها ورابطتم بها ولم ينته عن عدوانه؛ فعليكم بمقاتلته، ولكن إن جنح للسلم فاجنحوا لها، {وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا}[108]، أي وأنتم أقوياء، وأراضيكم غير محتلّة، ولا مهجّرين؛ فإن جنح المعتدون للسّلم فاجنحوا لها، ولهذا لا جنوح للسّلم إلّا بامتلاك القوّة، ومن لا يمتلك القوّة يجد نفسه غير مقدّرٍ من الغير (أصحاب المطامع).

ولهذا وجب إظهار القوّة عُدّة وعتادا وفرسانا وخيلا وتنظيما واستعدادا بما أنّكم قد تهيأتم وتأهُّبتم، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: (وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ) أي يجب إظهار القوّة، لتكون رسالة ذات مضمون مفاده (لقد أعددنا العُدّة، وامتلكنا القوّة، ونحن الآن مستعدّين عن إرادة، ومتأهبين لخوض المعركة؛ فخذوا حِذركم، وفكّروا قبل أن تقرّروا عن غير بيّنة، نحنُ نمتلك القوّة المتعاظمة، ولكنّنا لا نرغب قتالكم ولا

[108] الأنفال 61.

الاعتداء عليكم، ولقد أعذر من أنذر) فإن سالمتم فنحن أهل السّلم، وإن اعتديتم علينا فليس لنا إلّا الاعتداء عليكم مثلما اعتديتم علينا، {فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ}[109].

إذن التأهّب والمرابطة دليل إثبات أنَّ الأمر لم يعدّ هيّنا؛ فخذوا حذركم، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ}[110] أي تيقّظوا وانتبهوا واحترزوا العدوَّ كي لا ينال منكم شيئا؛ فإن غفلتم واسترخيتم وألقيتم سلاحكم فلا تستغربوا أن يغدُر بكم أو يتمَّ الاعتداء عليكم ظلما؛ فخذوا حِذركم بكلِّ جدّية؛ فالأمر لم يعدّ هيّنا، وإن أخذتموه مأخذ الجدّ فإنَّ الخصم أو العدوّ سيأخذه مأخذ الجدّ أيضا، وإن أخذه مأخذ الجدِّ جعل لكم اعتبارا يجعله جانحا للسّلم الذي يستوجب الجنوح إليه تحدّيا لا استسلاما (قوّة لا ضعفا).

وكما أنَّ إعداد العُدّة حقٌّ لمن هو خائف من المخيف الذي لا يُقدِّر ولا يَعتبر الآخرين؛ فكذلك التأهّب بالمرابطة قوّة تماسك وحقٌّ به يُدمغ الباطل ويُزهق.

---

[109] البقرة 194.

[110] النساء 71.

وهنا يكون التأهّب تَوفُّر العزم مع وافر الإصرار على الإقدام على تنفيذ الفعل مع ترقُّب شديد ورصد للحركة والسّكون ممّا يجعل الأصبع على الزّناد استعدادا وتأهّبا للرّمي في زمن الانقضاض.

فالتأهّب يؤجّج في النّفس حرارة الانقضاض والاندفاع تجاه الهدف دون خوف ولا تردّد مع استماتة على الإنجاز في الوقت المحدّد للتنفيذ خوفا من التأخير الذي فيه تكمن المفاجئات، ولذلك دائما لا للاستعجال ونعم للإسراع دون التسرُّع.

ولذلك يكمن في قيمة التأهُّب اشتياق الفاعل للحظة الانقضاض ورمي الهدف؛ فالرّامي عندما يكون متأهّبا تكون مشاعره وأحاسيسه منصهرة في بوتقة الفكر لفعلٍ قابلٍ لأن يُفعل والشّك من ملكاته منتزع انتزاعا.

فذلك الصّحفي العراقي الذي رمى الرّئيس الأمريكي جورج بوش بنعليه في بغداد في 14 سبتمبر 2008م؛ فلو لم يكن متأهِّبا للرّمي ما رماه أمام أعين النّاس وعلى شاشات التلفاز وأمام حرَّاسه وحرَّاس حرَّاسه والمدجَّجين والصّحفيين الذين هم في محيطه يتساءلون مع الرّئيس الأمريكي عمَّا حدث في العراق وعمَّا يحدث من رمي الرّامي في المؤتمر الصّحفي الموقَّر.

ولذا؛ فمن يتأهّب للشّيء بعد تهيّؤ وإرادة واستعداد يستطيع أن يُنفِّذ ما يشاء كيفما يشاء بحذاء أم بعكازٍ أم حتى بمسبحةٍ أو ساعة يد أو أن يبسق على من يشاء، دون أن ينتظر رأيا أو توجيها من أحدٍ.

ولأنّ لكلّ فعل ردّة فعل؛ فبدون شكّ سيكون للتأهّب تأهّب إن تمّت المعرفة، ولكن إن لم تتوفّر المعرفة فستكون المفاجئات سيدات الميدان والحاسمات للأمر.

وعليه في الوقت الذي يكون فيه التهيؤ منبع فطنة، يكون فيه التأهّب منبع أمل لمن استعدّ وأعدّ لأداء الفعل المحقّق للأمل الذي طال زمن انتظاره؛ فالتأهّب للفعل يُمكّن من الإنجاز والنجاح وبلوغ الغايات التي لا تبلغ عملا إلّا بحيوية التهيؤ. ولذا لا يمكن أن يكون المتأهب متأهبا ما لم يكن قد تهيأ لما تأهّب له.

التهيؤ للرّفض:

الرّفض هو ذلك الامتناع مع تحدٍ للمرفوض، وهذا الأمر لا يكون رفضا إلّا بعد تهيؤ تُنسف فيه جسور التردّد والخوف، والتهيؤ للرّفض هناك من لا ينظر إليه إلّا من الزّاوية السلبيّة، وهناك من ينظر إليه موجبا، أمّا نحن فنراه قيمة تستوجب التقدير حتَّى تنال الاعتراف بعد حوار ينبغي أن لا تكون نتائجه تقود إلى المواجهة والصّدام؛ فالرّفض إن قاد إلى حوار موضوعي لا يؤدّي إلّا إلى التقبُّل الممكّن من

القبول بما هو مشترك وفقا لحقوق يجب أن تمارس عن إرادة، وواجبات ينبغي أن تؤدّى بحريّة، ومسؤوليّات يجب أن يتمّ حمْلها وتحمُّل ما يترتّب عليها من أعباء جِسام.

فالتهيؤ للرّفض هو تهيؤ لاتخاذ قرار مترتّب على ما يمكن الإجابة عليه (بنعم، أو لا)، ومن يرفض قبول الإجابة المترتّبة على ذلك السؤال بشقي الإجابة المتوقّعة وغير المتوقّعة، يكون قد اتخذ قرارا مسبقا بالرّفض، ممّا يجعل رفضه في غير مكانه الموضوعي، ذلك لأنَّ السّؤال موضوعيّا يفتح فسحة أمام الاختيار لأحدٍ أمرين (نعم، أو لا) دون وجوب تكميم؛ فإنْ كان قرار التكميم حاضرا؛ فلا مجال ولا فسحة للإجابة بـ(لا)، حتى وإنْ كانت الشفافية والدّيمقراطية هما الحاضرتان؛ فلا يمكن أن يجد التكميم محلّا ليحلّ فيه بين الأنا والآخر، وهما على حرّيّة الاختيار بين (نعم ولا).

وهنا تكون دلالة التهيؤ للرّفض في مواجهة دلالة القبول؛ فالإنسان الحرّ يمتلك الفسحة المستوعبة للرّفض بالتّمام كما هي مستوعبة للقبول، وإلى هذا الحدّ لا مكان للاختلافات، فالاختلافات تظهر عندما يصبح الرّفض بين موجبٍ وسالبٍ، والقبول كذلك يتطابق معه على التساوي الحرّ.

ومع أنَّ اللغويين قد عرّفوا الرّفض بأنّه الترك"111، إلّا أنّنا لا نتّفق معهم من حيث المفهوم، ذلك لأنَّ الرّفض من حيث المفهوم هو عدم القبول، أمَّا الترك فهو فعل لا يكون إلّا مترتّبا على قبولٍ سابقٍ، أي لو لم يكن هناك قبول سابق ما كان من بعده فعل التّرك متحقِّقا؛ فالترك تخلٍ عمَّا يحمله القول الصادر من وعيد أو إصرار على الفعل، أو أنَّه تكفير عن الفعل الذي فُعل، أو العمل الذي ارتكب، أو السلوك الذي تمّ.

وعليه: عندما يتهيأ الإنسان للرّفض فقد تهيأ لترك ما لم يكن مرغوبا فيه، وهو المدحور تجنّبا أو تحرُّزا أو حذرا وخوفا من التعرّض لِمَا لا يحمد عقباه، ولذا فالرّفض لكلِّ ما هو معيب هو قيمة حميدة مرضية للإنسان الذي لا يرى في الحياة إلّا قيمة ترسّخ قيمة الإنسان دون أن تمسّ كرامته بسوء.

والتهيؤ للرَّافض هو الذي يجعل الرّافض لا يقبل المساومة في الحقّ؛ فهو الذي يأبى الطّاعة لغير الله وما أمر به جَّل جلاله، ولهذا فما دون ذلك ليس له بدٌّ إلّا أن يرفضه جملة وتفصيلا دون تردّد ولا جبن.

[111] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، دار العلم للملايين، ج 3، ص 1078.

ولذا فالتهيؤ للرّفض قد يكون على الإيجابيّة، وقد يكون على السّلبيّة، فإن كان رفضا للظلم والإفساد في الأرض كان موجبا، وإن كان رفضا للحقِّ كان رفضا سالبا.

ولهذا فالتهيؤ للرّفض يدل على التهيؤ للامتناع وعدم القبول، والرّافض الحقّ هو الممتنع عن الإقدام على ما لا يجب، وهو الذي لا يقبل المساومة في الحقّ وإحقاقه، يتمسَّك بالفضائل ويحترم القيم ويتّبع أحسنها، أمَّا الرّافض للحقِّ فهو الرَّافض لما يجب أن يتَّبع ويطاع، وعلى هذه القاعدة المنطقيّة كان سليمان عليه الصَّلاة والسّلام متهيأ لرفض العرض المقدّم له من ملكة سبأ؛ فرفض، {قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ}[112].

إذن التهيؤ للرّفض يظهر أسلوبا وموقفا منطقيا عندما يوافق العقل في محاكاة حقائق الأشياء؛ فلا يمكن أن يكون الرّفض موقفا لمجرّد المخالفة، ولكنّه في الوقت نفسه هو موقف حقٍّ مخالف للآخر عندما يكون الآخر مخالفا لمنطق العقل.

[112] النمل 36، 37.

إنّ التهيؤ للرّفض بهذا المفهوم يهيئ المتهيء لاتخاذ المواقف التي يعتقد أنّها واجبة الأداء[113].

التهيؤ للتطرّف:

التطرّف هو اتخاذ موقف من قضية ما، والابتعاد هناك عن المشاركة فيها، سواء أكان هذا التطرّف وفقا لتهيؤ سالب أم لتهيؤ موجب؛ فإن كان التهيؤ بغاية الإيجابية كان التطرّف موجبا، وإن كان التهيؤ بغاية السّلبية يكون التطرّف سلبيّا. وخير مثال لأفعال التطرّف هو أوّلها وهو ما جرى بين ابني آدم عليه الصّلاة والسّلام اللذين تهيأ كلّ منهما لفعل يخالف الآخر بالتمام؛ فكانت النتيجة أنْ قتل أحدهما الآخر تطرّفا بغير حقّ. ووصفنا هذا الفعل بالمتطرّف لأنّه خرج عن قواعد الحوار الذي يؤسّس على دحض الحجّة بالحجّة في المواجهة بين الحقِ والباطل.

إنَّ التهيؤ للخروج عن منطق الحوار هو بحدِ ذاته فكرة متطرّفة تدفع من يعتنقها إلى الابتعاد عن الآخر وتنأى به عن ال(نحن) التي يجب أن يكون عليها مع وافر الحقّ والعدل والاتزان، ومن هنا تنشأ

[113] عقيل حسين عقيل، الرفض استشعار حريّة، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م، ص 9 . 11.

فكرة التخلُّص من الآخر في استقصائه وإنهائه رغبة من الأنا في سيادة الفكرة التي تؤمن بها وفق رؤيتها التي تمثّل الأنا المركزية.

فالتهيؤ للفكر المتطرّف كان وما يزال سببًا في الكثير من المشاكل والقلاقل والفتن التي تزعزع الصّرح الاجتماعي وتهدم أركان أمنه وتنزع عنه وحدته المتماسكة، بحيث تجعله يعيش في جو من عدم الاستقرار والاضطراب المستمرّ.

وممّا يجب معرفته أنّ لدى كثير من أفراد المجتمع الإنساني قناعات بأنّ إزالة ظاهرة اجتماعية سيؤدّي حتما إلى إيجاد ظاهرة أخرى قد تكون في دائرة المتوقّع أكثر تطرّفا وقد تكون أكثر تسامحا، وكلّ حسب ما تهيأ له المتهيؤون لهذا الفعل أو ذاك. غير أن عامل الزّمن الذي يظهر النتائج هو الكفيل الوحيد في إصدار الحكم والتقييم للظاهرة الجديدة التي تحلّ محلَّ غيرها، في حين أن التغيير الذي يحصل نتيجة استخدام التطرّف سلوكا والاعتماد على وسائله قد يفضي إلى نتائج إيجابية أو سلبية، وهناك من العنف ما يكون مبرّرا لتبقى الأحوال على ما هي عليه دون تغيّر أو تغيير.

ومن الأُمور التي تجعل التطرّف يشتدُّ ويتنوّع، أن يُرفض الآخر ويغيَّب، وهذا التغييب أعظم من مقاومته متطرّفا. وهنا يكون المغَيِّبُ أكثر تهيؤا للتطرّف من المغَيَّب إن لم يكن مساويا له في التشدُّد.

إنَّ رفض مشاركة الآخر وتغييبه بأسباب التطرّف لا يلغيه من الوجود، ولكن قد يهيئاه ليكون على رأس هرم التطرّف بعد أن كان على مستوى من مستوياه دون التشدد، ولذا فمن يستهدف الآخرين بالتغييب والإقصاء سيجد نفسه أكثر النّاس على إثبات وجودهم طرفا من أطراف المعادلة.

ولأنّ الأمر لا يكون إلّا كذلك فينبغي أن يُؤسّس مركز يتوسّط المركزين ويقوم على شعرة تعادل كتفى الميزان دون طلب تنازلات عن حقوق واجبة الممارسة؛ ممّا يجعل المركز مؤسّسا على الموضوعية لا على التنازلات.

أمّا التنازلات إنْ أحدثت لقاءً، فإنّ هذا اللقاء سيكون بعده الافتراق المملوء بالتطرّف نتيجة التنازلات بأسباب الحاجة والظّروف المتغيرة في دائرة الممكن، ذلك لأنّ الأنا والآخر قد يتّفقا على تقديم التنازلات تحت إملاءات وظروف معينة، ولأسباب الضّرورة، وبتوفّر معطيات جديدة فيها تتحسَّن الأحوال وتصبح تلك التنازلات في مهبّ الرّيح، وذلك بأسباب التهيؤ للمواجهة التي بلغت القمّة تطرّفا ولازالت قمّة بعد أن تهيّأت لها الظّروف المناسبة لإثبات الذّات بوسائل متطرّفة.

ولذلك فإنَّ تقديم التنازلات بلا تهيؤ يسبقها لا تصمد، وفي هذه الحالة لا يكون تقديم التنازلات إلّا لكسب الوقت والتكتيك حتى

يتمّ اغتنام الفرصة في الوقت غير المتوقّع من الخصوم، ومن جملة ما يعنيه تقديم التنازلات بلا تهيؤ إنّه: لا يمكن أن يتمّ تقبّل الغير (هو كما هو). ولأجل الحلّ، ينبغي أن تخضع الحالات للبحث والدراسة لتعرف عللها ومسبباتها ومن هناك يبدأ العلاج أوّلا بأوّل دون تسفية ولا تقليل شأن مع الاعتراف بأنّ الحقوق ينبغي أن تمارس والواجبات يجب أن تؤدّى، والمسؤوليات ينبغي أن تُحمل ويتمّ تحمّل ما يترتّب عليها من أعباء جِسام. ومع ذلك فإن لم يتهيأ الأنا والآخر لتقبّل بعضهما طرفين على كفّتي الاعتدال؛ فالحلّ قد لا يجد مكانا ليحلّ فيه، ولهذا فلا حلّ ومن بعده المعافاة والشفاء إلّا من بعد التهيؤ الموضوعي.

ومن أجل أنْ لا يكون للتطرّف دائرة يمتدّ فيها أفراد وجماعات ومؤسّسات ودولة ورأس دولة، علينا أنْ لا نستهين بالآخر أو نلغيه أو نغيّبه أو نقصيه من شيء ينبغي أن يكون له أو يكون شريكا فيه. فإنْ حدث ذلك فلا استغراب أن يتهيأ المقصودون بذلك للتطرّف وأن يقدموا على أفعاله عنفا وتشدّدا.

التهيؤ للخوف:

الخوف توقّع حذري يقع في النّفس قبل وقوع الفعل أو حدوثه، ولا غاية من الخوف إلّا أخذ الحيطة والحذر لتجنّب ما يخيف، ويعدّ الخوف تهيؤ للبحث عمّا يقي من الشرور والمظالم والحاجةً، والخوف هو

ما ليس بجُبنٍ، فالجبن لا يكون ساكنا إلّا في نفس من يعرف الحقيقة تجاه ما يجب ولا يقدم عليه، والخوف لا يكون إلّا في دائرة المتوقّع من أجل الإقدام على، أو الانتهاء عن، دون تأخّر ولا جبن. ولهذا فالخوف يمكّن من التهيؤ لما يجب، أمّا الجبن فحيث ما يحلّ في النفس يحلّ الاستسلام فيها وقبول الخضوع للمخيف ليفعل ما يشاء.

ولذا فالخوف استشعار للمستقبل واستطلاع لِما قد يَحلّ به وقد يؤثّر تأثيرا سالبا على الفرد أو الجماعة أو المجتمع وما يمتلكون، ومن ثمّ وجب التهيؤ لمواجهته، وحتّى لا يحدث تُبْذل الجهود من قِبل مستشعريه وقاية منه أو استبدالا له، أو استغناء عنه في دائرة الممكن.

ومع أنَّ معظم معلومات العامّة من النّاس عن الخوف هي معلومات عن سالبٍ، إلّا أنَّ حقيقة أمره لا تربطه بسالبٍ؛ فالعامّة على سبيل المثال يخافون من الظّلمة، ولكن هل يوجد شيء من مكوّنات الظلمة يخيف؟

بالتأكيد الظّلمة لا تُخيف، ولكن ما قد يفاجئك وأنت في زمن الظّلمة قد يُلحق بِكَ ألما أو ضررا، ولهذا ينبغي أنْ تكون عند الظلمة متهيئا حذِرا متيقّظا، وإن لم تكن كذلك فقد تفاجأ بما هو غير متوقّع، وعندها قد تحدث الخسارة، ولكن بفضل الله علينا خلق الخوف في

أنفسنا وجعله قابلا للاستشعار العقلي ليتّخذ الإنسان حذره ممّا يُخيف ويتهيأ له.

فالخوف الذي هو من خلق الله فينا خلقا، هو دائما موجب، ولذا لا حُجّة للبعض الذين يرون أنّ الإنسان قد خُلق على السّلبية في مقابل قوله تعالى: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ}[114]؟

ولأنَّ الخوف موجب فكلّ عاقلٍ منّا يخاف المرض ولا يخاف الموت، ذلك لأنّ للمرض دواء؛ فكلّنا نتهيأ ونسعى إلى بلوغه، والعمل من أجل الحصول عليه؛ فتجرى التطعيمات الوقائية للنّاس من المرض استباقا، خوفا من حدوثه، أمّا الموت فلا دواء له، ولهذا لا أحد يفكّر في علاج الموت ولا يخاف منه، فالخوف من المرض والألم والفقر والجهل والفتنة.

ولأنّ الخوف يصنع المستقبل؛ فكلّنا نتهيأ له، ولهذا فنحن نسعى لتوفير الماء قبل أن يلمَّ بنا العطش، ونسعى لتأمين غذائنا قبل أن تلمّ بنا أزمة الغذاء وألم الجوع، ولأنّنا نخاف من الوِحدة، فنسعى جميعا من أجل تحسين علاقاتنا الاجتماعيّة مع الآخرين أبوة وأخوة وعمومة وقرابة وجيران كي لا يلمّ بنا ما يخيف، وحينها نتمكّن من بلوغ السكينة.

---

[114] التين 4.

ولأنّنا نعرف ما تتركه السّرقة من ألم؛ فنسعى للتأمين على ما نمتلكه قبل أنْ تحدث السّرقة، ولذا فمن لم يكن خائفا فطنا سيدفع ثمن غفلته ألما إذا لم يتهيأ لذلك.

وهكذا بأسباب الخوف من الجهل يسعى النّاس لنيل التعليم، ولذلك دائما من لا يخاف على مستقبله لا يسعى لتأمينه، ومن لم يرسم الاستراتيجيات والخطط لمستقبل أفضل، لن يجد لنفسه مكانة يتبوّؤها بين الشّعوب الناهضة والمتقدمة، بل قد يجد نفسه على الرّصيف جالسا على قارعة الطريق متسوِّلا، أو سجينا بين الجدران بأسباب فقدانه مشبعات الحاجة التي لم يهيئ نفسه لها خوفا من المؤلم.

ولأنّ الخوف نعمة من نعم الله علينا؛ فكلّ عاقل ليس له بدٌّ إلّا أنْ يتهيأ ويُفكّر في كلّ ما من شأنه أن يجنِّبه ما يخيف.

ولمتسائل أن يتساءل:

الخوف من أجل ماذا؟

أقول:

من أجل السّلامة، ولذا فمن يحرص على الإقدام على ما يخيف من أجل التخلّص منه أو تجنُّبه بما يحقّق السّكينة والأمن، سلم، وإلّا لماذا الآباء هم يخافون على أبنائهم؟

بطبيعة الحال خوف الآباء على أبنائهم هو من باب الحرص عليهم وتحقيق السّلامة لهم. ولذلك فمن خاف وتهيأ لمواجهة المخيف سلم، ومن لم يخف ألقى نفسه في التهلكة.

وكما أنّ هناك علاقة موجبة بين الخوف والتهيؤ فكذلك هناك علاقة قويّة بينه وبين المستقبل؛ فعلى سبيل المثال: النّاس تخاف من مفاجِئات الزلازل؛ فتسعى في البحث لأجل أن تتمكّن من المعرفة العلمية التي تكشف مؤشرات الزلازل قبل وقوعها تفاديا لِما قد تحدثه من كوارث، ولذا فالمهندسون وخاصة المعماريون هم دائما يبحثون عن كيفية إيجاد تصميم معماري يُسهم في تفادي الهزات الأرضية أو الحدّ ممّا تؤدّي إليه من أضرار.

ولأنّ الخوف فطري؛ فكلّ المخلوقات الحيوانية حالها كحال الإنسان تخاف فطرةً لا تعلّما؛ فالخروف بدون شكّ يخاف الذئب، والذئب يخاف الكلب، والكلب يخاف صاحبه ولا يخاف أعداءه، وهكذا الدجاج يخاف الثعالب، والثعالب تخاف الصيادين، ولكن دون تدبّر؛ فكلّ سلوك حيواني يكون الحسم فيه أثناء المواجهة للأقوى، ممّا يجعل للمفاجئة مكانة في إلحاق المغالبة بين حيوانا وآخر، ومع ذلك كلّ الحيوانات لديها تهيؤ فطري لطرد المخيف وتجنّبه ومن ثمّ الهروب، ولهذا فكلّ الخصوم هم في حالة تهيؤ طبيعي أو تخميني لرفض الأعداء، ولهذا الأسد متهيئ لاصطياد الطريدة والطريدة متهيأة للهروب.

والفرق بين التهيؤ للخوف على المستوى العاقل والمستوى الحيواني هو أنَّ الحيوانات تتهيأ فطرة وغريزة أمّا الإنسان فيتهيأ تدبّرا مسبقا من أجل أن يتفادى المخاطر المقدّرة تقديرا بحسبان؛ فعلى سبيل المثال: المسلم يعلم أنّ أمامه مستقبل وله أن يختار إرادة (جنّةً أم نارا) ولهذا يتّقي الشرور ويبتعد عن ارتكاب المظالم خوفا من النّار وحبّا في الجنّة.

ولأنّ الخوف يُجنّب الألم؛ فالواعون دائما يتجنّبون لحظة الغضب بحكمة وتدبّر، بغرض إضاعة الفرصة على الغاضب وإعادته لرشده، ولذا فإنْ لم يتمّ تفادي الغضب لحظته تحدث المواجهة المؤلمة؛ فتتأزّم الأمور ويتصدّع البناء الأسري أو العشائري أو أيّ بناء اجتماعي وإنساني على مستوى الأفراد والجماعات وحتى الدّول. وهكذا دائما خوف العبد من الله يُخلّص العبد من خوف العبيد.

وعليه فمن أراد أنْ يقضي على الخوف فعليه بمخافة الله؛ فيتهيأ لتجنّب المظالم والمفاسد وسفك الدّماء بغير حقّ.

التهيؤ للإرهاب:

مع أنّ التهيؤ قيمة حميدة، فإنّ لكلّ قاعدة استثناء، فهناك من التهيؤ ما هو موجب ومفضّل ومرغوب إنسانيّا، وهناك من التهيّؤ ما هو سالب ومرفوض ومنهي عنه إنسانيا، وهناك أيضا من التهيؤ ما هو

موضوع اختلاف مفاهيمي من حيث الدّلالة والمعنى، وبخاصّة ذلك الذي يتعلّق بأفعال الإرهاب.

وفي دائرة الاختلاف أقول:

مع أنّ الإرهاب قد ورد في القرآن الكريم على الوضوح والبيّنة، فإنّا تسويقه لم يكن على ما هو عليه من دلالة ومعنى، ففي القرآن جاء الإرهاب أمرا؛ ممّا يجعل الإقدام عليه من قِبل المسلم فعل مرضٍ لمن آمن وأسلم وجهه لله تعالى، {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ}[115].

(وَأَعِدُّوا لَهُمْ) جاء أمرا من الله تعالى للعباد، ولذا فإنَّ إعداد العُدّة لمواجهة من يشكّل خطرا على الذين أمنوا غايتها تحقيق السلام الذي به تطمئن الأنفس، وتصان البلاد وأعراض العباد؛ فقوله: (وَأَعِدُّوا) أمرُ مطلق مع وجوب السّرعة في الأخذ به وتنفيذه، لذلك فإنّ الأخذ به طاعة لله تعالى الذي أمر عباده بإعداد العُدَّة التي تُرهب الأعداء الذين يشكِّلون خطرا على حياة النّاس وممتلكاتهم وعلاقاتهم وفضائلهم الخيّرة وقيمهم الحميدة اجتماعيا وإنسانيا.

---

[115] الأنفال 60.

وقوله (مَا اسْتَطَعْتُمْ) أي: يجب أن يُعدّ ما يُمكن أن يُعدُّ من عُدّة وفق الاستطاعة في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، ولهذا يجب العمل بكلِّ جهد وبكلِّ الوسائل الممكِّنة من امتلاك القوة، وتوفّرها، والتدرُّب عليها، والمران من أجل إدارتها، حتى تتيسّر استخداما إذا ما كُتبت الحرب أو أُوقدت نار الاقتتال.

ومع أنَّ الاستطاعة محدودة فأنَّ ورودها في هذه الآية الكريمة جاء وكأنَّها بلا حدود (مَا اسْتَطَعْتُمْ) أي إلى النّهاية التي لا تنتهي بعصرٍ من العصور، بل النّهاية التي تتجدّد في كلِّ عصر إلى النّهاية.

وقوله: (مِنْ قُوَّةٍ) مع أنَّ (مِن) بعضيّة إلّا أنَّ ورودها هنا جاء للتنوُّع أي: تنوّع القوَّة الواجب تنوّعها وإعدادها لإرهاب العدو، ولهذا جاءت الاستطاعة غير محدّدة، وكذلك القوّة غير محدّدة (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ) أيَّة قوة.

وعليه فإنَّ تنوُّع الصناعات الحربيّة وتطوّرها وتحسين جودتها والتدريب عليها ضرورة لإرهاب الذين يُخِيفون العباد تهديدا ووعيدا وكيدا وظلما وعدوانا.

إنَّ معظم شعوب العالم الضّعيف تمَّ احتلال أراضيهم وتمَّ تقتيل وتهجير الملايين منهم بغير حقّ، ومع ذلك استشهد أكثرهم في سبيل الحريّة وتحرير الأوطان، فهؤلاء الذين عانوا ويلات العذاب أنفسهم ممتلئة

خوفا ورعبا من أولئك الذين سبق لهم أن احتلوا بلدانهم وقتّلوا من قتلوا من أجدادهم وآبائهم، وشرَّدوا من شرّدوا من اخوتهم، وهتكوا أعراضهم، وشوهوا ثقافاتهم، ودنسوا معتقداتهم؛ فكيف لهم أن لا يعدُّوا العدّة التي تحميهم من تكرار الاحتلال والاقتتال والاستعمار مرة ثالثة ورابعة وخامسة وإلى النّهاية!

وقوله (وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ) جاءت (رباط الخيل) وكأنَّها لم تكن من ضمن القوّة التي نزلت في قوله (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ)، وفي هذا الأمر نقول:

الله تعالى لم يقل: (ومن الخيل).

بل قال:

(وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ).

ولذا فالخيل في حدِّ ذاتها هي قوّة من مجموع القوى المتعدِّدة التي يحتويها قوله تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ).

أمّا الرباط؛ فهو الذي به يطوّق من يريد قيده أو محاصرته، ولأنَّ الخيل وحدها لا تستطيع أداء هذه المهمة؛ فنسب الأمر لمن يستطيع أن يفعل ذلك، وهم الفرسان الذين يمتطون الخيل وهم معدّون ومستعدّون لخوض المعركة إن كُتبت عليهم كرها.

وعليه: (وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ) هذه كلمات ثلاثة مسبوقة بحرف عطف (و) الذي به مُيِّزَ الرباط عن القوَّة، أي أنَّ الرباط هو الذي لا يتمّ إلّا بخطّة وقرار وتدبّر وكيفية مناسبة، بها يتمّ استعراض القوّة المحمولة على ظهور الفرسان الذين هم مرابطون على ظهور الخيل المرابط بها على الحدود، وهؤلاء الفرسان هم (المعدّون والمدرَّبون والمتأهبون للإقدام متى ما صدر أمر التقدّم إليهم).

وعليه: (وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ) لا تعني كل القوّة، بل تدل على القوّة المعدَّة والمستعدّة للاستخدام، وهي الأمر الواقع أمام المشاهدة العينية والملاحظة العقليّة والمعرفيّة التي بها يُدرك ويُميّز ما يُرهِب عمّا لا يُرهِب.

ولذا فإنَّ إعداد العُدّة المستطاعة يجب أن لا يفهم منه بشكل خاطئ أو منحرف دعوة إلى رفع العتب وإبعاد اللوم، كما فُهم الإرهاب من البعض على أنّه الاعتداء لنشر الخوف والرّعب دون النّظر إلى حقيقة مفهوم الإرهاب، فيسوق حجّة أخرى بفهم خاطئ أيضا، كمن فهم قوله تعالى: {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا}116، على أنّها دعوة للاستكانة والتواكل، فالله تعالى دعا إلى التوكّل ولم يدعُ إلى التواكل، وعلى هذا يجب أن يَسَع النفس ما وسع الأنفس الأخرى في بذل أقصى طاقة في إعداد العدّة المستطاعة باستنفاذ الجهود والطرق والوسائل والأدوات، ومن هنا يكون إعداد العدّة لمنع العدوان بما تحقق

[116] البقرة 286.

العدّة والاستعداد من إرهاب، والذي يأخذ بالأسباب فقد يصل إلى الاستطاعة، فإن لم يستطع أن يعدّ العدة الكاملة التي توازي الآخر بعد الأخذ بجميع الأسباب، فقد أدرك رفع التكليف بما بذل من جهد دخل ضمن الاستطاعة التي تتكفلها النفس، وإن كانت هذه العدّة الإرهابية بما يرضي طموح الاستعداد، فهي من أجل دفع العدوان ومنعه، لا من أجل المبادءة والمبادرة بالعدوان.

وعليه نتساءل:

هل العدّة هي التي ترهب أم الإعداد؟

إنّ العدّة تُعدّ من قبل الإنسان، ويجب أن يكون الإعداد متلازما لها ليصل المجتمع إلى المرحلة الإرهابية، إلاّ أنّ العدّة وإن توفّرت فإنّها تبقى في حيّز الموجودات المادّية، ذلك لأنّ العدّة مادّية بأي شكل كان، فلو كان هناك أكداس من الحديد بشكله المعروف كمادة أوّلية، فإنّها لا تدخل الرّهبة على أحد مهما تعاظمت، كمن يمتلك أموالا طائلة يلهو بها في صالات القمار، فمن أين تأتي الرّهبة لهذا المال!

ولذا فإنّ إعداد الحديد والمال والمياه والأرض والإنسان، هو الذي يمنحه الجانب الإرهابي، وذلك عندما تحوّل المادّة بإعدادها إلى استخداماتها بقرار عقلي نابع عن فكر متهيء للعمل، ولذا (فأعدّوا)

تبدأ من التهيؤ مرورا بالإعداد والاستعداد والتأهب، وكلّ ذلك مرتبط بالإنسان الذي ليس له غنى عن العدّة المحققة للغاية.

والإعداد لا يكون إلاّ بما يبذل من جهود تحقّق أهدافا فكرية وعقلية ونفسية ومعرفية وتنظيمية تجسّد قوله تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ).

فالأخذ بهذه المعطيات الإعدادية وتجسيدها إنسانيا، في الارتقاء بالإنسان إلى هذا المستوى، يجعله على قدر المسؤولية، وبذلك يقضي الإعداد على الوهن والضّعف والتخاذل، ممّا يفضي إلى رفع الهمم والارتقاء بالنّفس، وبذلك تنزاح عن النّفس المذلة والهزيمة والخنوع، وتتجاوز الأسف والنّدم الذي يستحكم فيها؛ فالذي كان يحيلها إلى نفوس هامدة تتحوّل بالتهيؤ والإعداد إلى قدرة قابلة على مواجهة التحدّيات، ولا نقصد بالمواجهة ساحة القتال أو الحرب، وإنّما مواجهة الواقع بما يحمل من مفاجآت حربية وسلمية واقتصادية وسياسية واجتماعية، حيث إنّ تمكّن الإيمان بالإعداد يقينا يخلق إنسانا له القدرة على التصرّف حيال الأحداث ليصل إلى الدرجة: {وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}[117] التي تعزّز الثقة بالنفس؛ فتأخذ بأسباب التغيير التي تنعكس على الواقع بمعطيات إرهابية تثبت حقّ الأنا أمام الآخر، وتعترف للآخر بحقوقه.

---

[117] آل عمران 139.

فالتهيؤ والإعداد على مستوى الذّات الإنسانية بهذه الجوانب، يدفع إلى الصّحوة من غفلة الانكفاء على الذّات والانفتاح على الآخر بما لا يمسّ الأصول والثّوابت ضمن المنطلقات الإرهابية المشروعة في التأهّب لمواجهة العدوان حال وقوعه بكلّ قوّة متاحة، ذلك أنّ التهيؤ والإعداد والعدّة لمواجهة الأخطار المحتملة يتمّ به استيعاب الواقع والمحيط الخارجي، ثمّ الصّحوة والانتباه إلى أنّ أقوياء العالم الذين سيطر الظلم عليهم لا يرحمون الضعفاء، وأنّ المراهنة على جمعيات حقوق الإنسان والهيئات الدّولية، مجازفة لا تُمكّن من بلوغ الحلّ، حتى وإن كانت قادرة على تسويق القضايا الإنسانية.

إذن التهيؤ والإعداد دعوة أخلاقية في تحقيق الإنصاف الذي يؤمّن التوازن بين الأفراد والمجتمعات، ومن ثَمّ يكون التهيؤ والإعداد في هذه الجوانب دافعا للصّحوة التي تحقّق المفاجأة في دائرة الممكن غير المتوقّع، ولذا فإنّ (أعدّوا) تشمل الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، ولما كانت العدّة من الأشياء المادّية؛ فنادرا ما تحقّق المفاجآت؛ لأنّها ضمن مجال الإحصاء والعَدّ، حيث أنّها أشياء حسيّة ومدركات مادّية يمكن لأيّ أحد أن يقف عليها من خلال المعلومات، سواء أكانت هذه المعلومات عن طريق رصد الاستيراد والتصدير والتنمية والخدمات، أم أنّها معلومات يتمّ الحصول عليها بطرق متعدّدة سواءً أكانت مشروعة أم غير مشروعة.

وعن طريق هذه المعلومات يمكن إحصاء العدّة المادّية المعدّة والتعامل معها بأساليب تؤدّي إلى إبطال مفعولها أو منع مفاجآتها. أمّا الجانب الآخر من (أعدّوا) الذي يتّسع مجاله في الجانب العقلي ليشمل الفكر والمهارة والتدريب والتخطيط الذي يخرج عن الحيّز المادّي، ويكمن بين العقل والشّعور وردّة الفعل، الأمر الذي يجعله ممكنا غير متوقّع بما يحقّق من مفاجآت، وهذا الجانب من الصّعب إحصاؤه أو الوقوف على حيثياته الكامنة في الفكر، بحيث لا تظهر نتائجه إلاّ بعد تحقيق المفاجأة، وهو أعلى أنواع الإعداد.

ولذا فالتهيؤ والإعداد الجيد على المستوى الفكري والنفسي هو الذي يحقّق مفاجأة العدّة المعدّة، ومن جانب آخر إذا كانت العدّة شمولية لا تقتصر على السّلاح ورباط الخيل، وأخذت البعد الحقيقي للاستطاعة (ما استطعتم) ليس بمعنى التكليف التواكلي، وإنّما التكليف التوكّلي، فسيدخل في الاستطاعة الخزين الاستراتيجي من الطّعام والشّراب والسّلاح ومقوّمات الاستمرار ليس على المواجهة فحسب، وإنّما الاستمرار على إدامة الزّخم في التحكّم بدورة عجلة الحياة ضمن الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، لأنّ الماء والغذاء من أهم مكونات الاستطاعة ويتبع ذلك اللباس والمسكن والخدمات ووسائل الاتصال والمواقع البديلة والتمويه وحفر الخنادق والأنفاق، كي يصبح من السهل تحقيق المفاجأة، وبالتالي التمكّن من تحقيق الأهداف.

فهذا التهيؤ وهذا الإعداد هو مرهب للعدو، ولا يعني الاعتداء عليه بحال من الأحوال، بل ليجعله في موضع حدوده التي لا يستطيع معها أن يقوم بالاعتداء أو يمارس العدوان؛ فامتلاك العدّة بالإعداد ومن ضمنها السلاح والعتاد الحربي توهن الخصم قبل أن ينفِّذ اعتداءه، وتدعوه لإعادة حساباته وتكبح جماحه؛ فيكون هذا النّوع من الإرهاب داعيا إلى السّلم ومانعا للقتل والتدمير، والدّعوة إلى إعداد العدّة التي وردت إرهابا للعدو في مواضع كثيرة من الذّكر الحكيم؛ فهي تختصّ بمنع حدوث العدوان، وهي ضرورة تقتضيها الحياة لاختلاف الأديان والقيم والأعراف والمعتقدات، وكذلك اختلاف البيئة والجغرافيا والموارد الطبيعية والتفاوت بين الغنى والفقر، ونقص الحاجات والسعي إلى إشباعها، كلّ ذلك يؤدّي إلى نشوء صراعات تدفع بعض المقتدرين إلى مباشرة العدوان ليستولوا على ما ليس لهم به حقّ، ولذا يجب أن لا يختلف اثنان على مشروعية العدّة والإعداد إرهابا لا عدوانا، ولذا فإنّ ذلك هو موضع اتفاق لجميع البشر؛ فمن حقّ كلّ أمَّة أن تمتلك القوّة لتدفع عن نفسها الخطر إن هي تعرضت للخطر أو التهديد، ولذلك فالدفاع عن النفس يقتضي إعداد العدة.

وهنا يتّضح الإرهاب بمفهومه الردعي، وأنّه لا علاقة له بالعدوان إلاّ من خلال منع وقوعه.

أمَّا تفسير ما يحصل الآن في العالم من تفجير وترويع للآمنين وسفك للدّماء باسم الإسلام أو ما يُرمى به ومن ثمّ وصفه بالإرهاب؛ فهو تصرُّف إمّا صادر عن إنسان أساء فهم الإسلام ونصوصه ممّا ينبئ عن وجهة نظر قاصرة وفكر ضحل، وإمّا أنّه نتاجٌ لفكر يتستَّر بالإسلام، وإمّا بدفع من جهات لها مصلحة في هذه الأعمال والتصرّفات، ولذا وجب التمييز بين المنهج وأخطاء المنتسبين إليه، وبين المنهج والممارسات التي تقع باسمه، فهذا ليس من الإعداد في شيء.

وعليه فإنّ التهيؤ وإعداد العُدّة لا يكون إلّا لإرهاب العدو ومنعه من العدوان، ويشمل ذلك استثمار الأرض وزراعتها، وتقديم الخدمات والنّهوض بالصناعة، لا أن تمدّ الأيدي للآخرين وإن كان استيرادا بمقابل سابق الدّفع، ليأكلوا من إنتاجهم ويلبسوا من مصانعهم ويتطفّلوا على موائدهم، على الرغم من وجود القوّة المادّية والأرض المهيأة والعقل المستقبل للفكرة التي تتبنى الإعداد وتنهض به، بحيث تُمكِّنَ الأفراد من أن يكونوا منتجين بدلا من أن يكونوا مستهلكين، وأن يكونوا قادة بدلا من كونهم عالة، وأن يكونوا صنّاعا للحضارة وليسوا قرّاءً عنها، وطالما أنّ الأمر كان ممكنا لغيرك؛ فبالضرورة لن يكون مستحيلا عليك، ذلك أنّ الذين يرون استحالة اللحاق بقافلة الحضارة؛ لحجم المشقة وبُعد المسافة وعمق الفجوة، قد تركوا إعداد العدّة وغفلوا عن أهميتها.

ولذا فالذي يمتلك أدوات القوّة المتنوّعة والمتطوّرة ويجتهد في تطويرها إضافة وتنوعا سيظل دائما مخيفا لمن لم يمتلكها أو من لم يواكب حركة تطوّرها، والذي لم يسع لذلك سيظل دائما خائفا حتى يبلغ امتلاكها ويواكب حركة تطويرها وتطوُّرها.

ولسائلٍ أن يسأل:

كيف لإعداد العُدَّة أن يُرهب المخيفين ويقضي على الخوف؟

أقول:

بما أنَّ المخِيف هو من سبق بإعداد العُدّة المخيفة استخداما؛ فهو بدون شكّ هو من غرس الخوف في نفوس من لم يعدِّوها ودفعوا الثّمن غاليا بأسباب عدم تملُّكها، لذا فإنَّ الخائف بأسباب ضعفه عندما يتهيأ ويمتلك مُعدّات القوّة ويستعدَّ بها ويتأهب، يتحرّر من الخوف، ويصبح مرهبا لمن كان مخيفا له، وإذا ما تحقّق ذلك، تصبح نفسه مطمئنّة آمنة حيث لا مكان للخوف فيها بعد إعداد العُدّة وامتلاك القوّة الماديّة والمعنويّة، والتمرّن على إدارتها متى ما وجب ذلك دون مظالم.

إذن بإعداد العدّة المتكافئة مع الذي كان متفرِّدا بامتلاكها تتعادل كفتا الميزان، ويُلغى من القاموس الحربي الخوف الذي فيه غالب ومغلوب على أمره، ليحلَّ محلّه الإرهاب الذي لا عدوان فيه ولا مظالم،

بل هو مجرّد إعداد عدّة في مقابل عُدّة كانت لوحدها السائدة في الميدان.

وعليه: يصبح المخيف لا يُخيف، ويصبح الخائفُ غير خائفٍ، ممّا يجعل كلّا منهما قادرا على تقديم التنازلات تجاه الآخر بلا خوف، ذلك بما للعدّة من قوّة مُرهبة تؤدّي إلى نيل الاعتراف ونيل التقدير؛ فذلك الضعيف بعد أن كان غير مقدَّرٍ بأسباب ضعفه، أصبح مقدَّرا بما يمتلكه من قوّة مُرهبة للذي لم يكن مقدِّرا له، وأصبح يُحسب للعدّة التي تمَّ إعدادها من قِبله ألف حساب، فعلى سبيل المثال: بعدما امتلكت الهند السّلاح النووي أصبحت الباكستان خائفة ومرتعبة ممّا تمتلكه الجارة من أسلحة الدّمار الشّامل، وبعد أن عملت الباكستان ما استطاعت إلى أن استطاعت أن تمتلك هي الأخرى أسلحة نووية زاحت عن نفسها غمّة الخوف وتحرّرت منه، وأصبحت الهند مرتهبة ممّا امتلكته الجارة اللدود من أسلحة الدّمار الشّامل، وهنا أصبح إعداد العدّة وكأنَّه كلمة (قفّ) عندما تكون نافذة الفعل والتحقّق، قف عند حدِّك وإلّا ستكون الخسارة على الجميع متساوية على كفتي الميزان العادل، ولهذا لن تعتدي الهند على الباكستان بما هو مخيف، ولن تعتدي الباكستان على الهند بما هو مخيف، ويقف كلٌّ منهما عند الحدود مرتهبا ممّا أعدّه الآخر من عُدّة دون مخافة منه، وتصبح اللغة السائدة بينهما: (ما تمتلكه نمتلكه) و(إن فعلتها سنفعل ما هو أعظم)،

ولهذا (قفّ عند حدّك وقدّر الظّرف كما أنا واقف عنده ومقدِّرا له، وإلّا).

أمّا قوله تعالى: (تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ) أي بعد أن تعدّوا العُدّة القتاليّة وتستعدّوا بها وتتأهّبوا ستلفتون انتباه أعدائكم لأنفسهم بأنَّ الأمر تجاهكم لم يعد كما كانوا يعتقدون، بل إنَّه تغيّر إلى ما هو أخطر وأفضل، (تغيّر من حالة الخوف منهم إلى حالة استمداد الثقة بالأنفس)؛ فقوله: (تُرْهِبُونَ) تفاجئون أعدائكم بالقوّة التي أعددتموها للمواجهة إذا ما كُتبت عليكم، وهذه العُدّة أعداؤكم لم يكونوا قد أعدّوا لها حِساب من قبل، ولذا فالإرهاب بالنّسبة لمن كان خائفا أصبح مبعث ثقة وطمأنة في النّفس، وبالنّسبة لمن كان مخيفا لغيره، أصبح الإرهاب ناقوس خطرٍ يدقُّ في آذانه لينتبه إلى أنَّ الأمر لم يعدّ كما كان يتوقّع.

وعليه: يترتّب على إعداد العدّة أمرين:

الأمر الأول: تخلّص الخائف من الخوف.

الأمر الثاني: إحساس المخيف بالإرهاب.

ويترتّب على هذين الأمرين أمور منها:

ـ الاعتراف بالآخر.

. المصالحة مع الآخر.

. التفاوض مع الآخر.

. أخذ الحيطة والحذر من الآخر.

. استيعاب الآخر.

. التفاهم مع الآخر.

. التسامح مع الآخر.

إذن الإرهاب إن تحقّق في الأنفس أدّى إلى التفاوض والحوار والنقاش من أجل التفاهم وتفّهم الظروف وما يترتّب عليها من مخاطر، والتحكّم في كلِّ ما من شأنه أن يُرهب الجميع (الأنا والآخر)، ولذا فالإرهاب يستدعي من الأنا والآخر أن يُفكِّرا جيدا قبل أن يتكلّما، وأن يتذكّرا حتى لا يغفل أحدهم عن أهميّة التاريخ في اتخاذ القرار وصناعة المستقبل118.

[118] عقيل حسين عقيل، الإرهاب بين قادحيه ومادحيه، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2011م، ص 52 . 64.

مستويات التهيّؤ

التهيّؤ الذاتي:

التهيؤ في النّفس الإنسانية فطريّ المنبت، فلا يمكن اصطناعه، ومع أنَّ التهيؤ واحد إلّا أنَّه على مستويات من القيم التي يمتدّ في كلّ واحدٍ منها حسب المعطيات والظّروف والقدرة والاستعداد ودرجة الثّقة في النّفس وفي الآخرين.

فالمستوى الذاتي للتهيؤ لا يخرج عن كونه درجة عالية من الانتباه لما يجب تجاه المكوّن الاجتماعي (الذات العامّة للشعب) التي من أجلها المواطن يعمل ويُصلح ويشهد الحقّ ويقوله ويعمل من أجل إحقاقه، ولكن بمقارنة ما يجب تجاه الشّعب الذي ينتمي المواطن إليه مع ما يجب تجاه الآخرين لا مقارنة. حيث ظهور الانحياز لأبناء الوطن أو بعض منهم ضد الآخرين وإنْ مال الحقّ إليهم.

ولهذا يتهيأ المواطن للتمسّك بالمكوّن الذاتي تجاه وطنه؛ فيضحي من أجله، ويحرص على تقدّمه، ويعدّ العُدّة ليرهب بها من أعدّ له عُدّة، ويقبل الموت في سبيل تحريره إنْ تعرّض إلى احتلال من عدوٍ. ولكن الذي يتهيأ لكلّ شيء من أجل وطنه حتى وإن كان قرار وطنه غير منصفٍ لا يمكن له أن يتهيأ لأوطان الآخرين وإن كان الخلاف معهم

ظالما. وبالتالي إنّ خوفه على وطنه لا يرتقي شعورا متساويا تجاه أوطان الآخرين، ممّا يجعله على غير موضوعيّة فيما يقوله ويفعله تجاه الغير.

وهنا يتّضح المستوى القيمي للتهيؤ بأنّه لم يتجاوز المستوى القيمي للذات (المتكونة من قيم المجتمع وأعرافه وأماله وآلامه).

إذن الذّاتيّة مستوى معرفي إدراكي؛ فالذات المدركة هي التي تعرف أنّها تعرف أنَّ التمركز على معرفة الذات لذاتها يؤدّي إلى تمركز المعرفة على ما يجب وما لا يجب اجتماعيا، ولكن ليس دائما كلّ ما يجب على المستوى الاجتماعي هو ما يجب على المستوى الأخلاقي والإنساني؛ فللعصبيّة دورها الانحيازي في بعض الأحيان خاصّة عندما تخاف الآخر. ومثل هذه التربية لا شكّ أنّها ستهيئ الأجيال على العصبية وليس على الحقّ ووجوب إحقاقه. وبالتالي فالمكوّن الذاتي بالنّسبة للمجتمع الذي تنتمي إليه الذّات لا يتعارض مع ما ترغبه العصبيّة أو تُفضّله.

وعليه: تتكون ذات الإنسان من قيم المجتمع، من أوامره ونواهيه، ممّا يحب وممّا يكره، ولذلك تتوحّد آمال وآلام المجتمع ودينه في الفرد إلى درجة تتساوى عنده كفتا الحياة والموت من أجل مجتمعه أو وطنه أو أمّته؛ ومن ثمّ يتهيأ لذلك وكأنّه مجتمعا بأسره، أو أمّة بكاملها نتيجة بناء شخصيّته على ما تشرّبته من قيم وأخلاق ونظم وأعراف

وعادات وفضائل وتشريعات اجتماعيّة؛ فيصبح لسانه لسان حالها وسلوكه سلوكها، وفعله من الأفعال التي ترتضيها.

ولذا فإنَّ الذات مكوّنا قيميا اجتماعيا على مستوى الخصوصية وليس مكونا فرديا، فعندما تتجسّد الذات في السّلوك، لن تجد الأنانية (الشخصانية) مكانا لها بين النّاس، وعندما تتكوّن في الإنسان بأماني المجتمع، تزيل عنه الأنانية وتغرس فيه الأمّة بقيمها، أو الوطن بكامله، ولهذا يكون الفرد وكأنّه أمّة بحالها، وتكون الأمّة وكأنّها الفرد بحاله، وليس بشخصانيّته.

إذن عندما يتهيأ الفرد لممارسة السّلوك الاجتماعي وفقا لمرضيات العقل الجمعي، ينال التقدير والاعتراف والاحترام من قبل أفراد المجتمع، ما يجعل الاتصاف بالذاتية على المستوى الاجتماعي لا يُعدُّ عيبا كما يعتقد البعض من الباحثين، بل إنّه دلالة على أهمية التفاعل الاجتماعي في خلق الشخصية المعتدلة بيئيا.

ولسائلٍ أن يسأل:

. ما هو العيب في أن يتمسّك الفرد بقيمه ودينه؟

لا عيب في ذلك، بل العيب إنْ كان فيهما عيبا ألا يتّخذهما قيما ويرتضيهما دينا.

إذن لا يمكن أن يكون الإنسان ذاتيا ما لم تتجسّد قيم المجتمع في أفعاله وسلوكه، ولذا فإنَّ الذاتية يمكن أن تكون على مستوى الفرد، ويمكن أن تكون على مستوى الجماعة، ويمكن أن تكون على مستوى المجتمع بأسره.

وعليه فإنَّ الذاتية تحتوي عناصر القوّة والضّعف، وقد يتمّ التمسّك بها كما هي لا كما ينبغي أن تكون عليه، وقد يتمّ تجاوزها إلى ما هو أفضل، وفي هذه الحالة يحدث التغيّر إلى ما هو أفضل على المستوى الإنساني، وتصبح الحالة التي كانت عليها حالة الفرد أو الجماعة أو المجتمع متهيئة للميل إلى ما هو أفضل (التطلّعيّة) التي تحتكم بكلّ ما هو منطقيا. وفي مقابل ذلك قد يلاحظ أنَّ البعض غير قادر على المحافظة على الذّاتية، وفي ذات الوقت غير متهيئ للميل إلى الموضوعية (التطلّعيّة)، ولكنّه متهيأ إلى الميل إلى الفعل الانسحابي.

وهنا؛ فالذاتية هي نقطة الاعتدال والاتزان الاجتماعي والانفعالي والنّفسي، وهي مجال وعي الإنسان بإمكانياته في ضوء إمكانيات الآخرين، والتصرّف وفقا لهذا الوعي في حدود ما يجب وما لا يجب، فالذات هي مجال لامتداد الشّعور الاجتماعي، وعندما تلتزم الشخصية بأوامر المجتمع ونواهيه تصبح شخصية متّسقة، حيث تتّسق فيها الأنا مع نظم المجتمع ومعاييره وقيمه المعتمدة بإرادة، وعندما تشكّل قيم المجتمع الإطار المرجعي للإنسان، تسلك الشخصية سلوكا ذاتيا؛

فتوصف بالذاتية، وعندما لا تلتزم بهذا السّلوك وتبتعد عنه متهيئة للسلوك انسحابي، تُقيّم الشخصية في هذه الحالة على أنّها انسحابيّة، وإذا لم يتوقّف تهيؤها عند نقطة معينة، لابدَّ أن تصل إلى مستوى أقل أو حالة أقل توصف بأنّها حالة أنانية.

ولهذا فالأنانية لا تكون إلّا بقبول أمر الواقع وإن كانت نتائجه سلبية، ولا خروج من الأنانية إلّا باستشعار الأنا للخوف من مخاطر الآخرين؛ فعندما تسود معايير الأنانية تسود الشخصانيّة، وعندما تسود معايير الذات تسود الذاتية، وهكذا عندما تسود المعايير الانسحابية والمعايير المنطقية والموضوعية تسود بالضرورة الشخصيات المماثلة لها. ولهذا تعدّ الذاتية شعرة توازن كفتي الميزان الاجتماعي، فعندما يكون الضمير هو المعيار العام لأفراد المجتمع، يصبح الإطار المرجعي لهم هو الموروث المشترك بينهم بإرادة، وتصبح الذاتية هي نقطة تمركز الفكرة، وعندما تميل عن نقطة التمركز هذه لابدَّ أن تميل إلى ما هو سالب في حالة تغلّب النفس الانسحابية، أو تميل إلى الموجب في حالة الاعتماد على الأحكام المنطقية التي يتمّ فيها الاستماع للآخر وأخذ رأيه فيما يتعلّق بالأمر المشترك.

ولهذا فالذاتية بما يملؤها من خوف تستطيع أن تجسّد سلوكا للموروث الاجتماعي الفكري والثقافي، وكلّ شيء بالنّسبة لها على المستوى الذاتي قابل للنقاش والحوار والموافقة وعدم الموافقة، شريطة أن

لا يتعارض مع الإطار المرجعي للمجتمع المحقّق للاعتبار الفردي والجماعي والجمعي.

فالذات مكوّن علائقي بين الأنا وغاياته وأماله والمجتمع وأعرافه ومعتقداته وأنساقه القيمية، ولهذا لا تعدّ الذات من مواليد الطبيعة، فهي مجال الحركة والامتداد السلوكي لكلِّ خصوصية اجتماعية. فأنا (i) كفرد وأنا كوطن وأنا كدين وعرف تجعل لي ضمير المتكلم (me)، ولا قيم لأنا إلّا بالمعنى المصاحب الذي يميّزني عن أنت ويميّزنا عن الآخر (هم) فعندما يتوحّد الموضوع في (أنا وأنت وهم)، يصبح حال الجميع على الضمير (نحن) اللسان واحد والقضية واحدة والعرف والتقاليد (هي هي) ممّا يجعل الكلّ من حقّه أن يقول في الوقت الواحد (أنا) ويقول (نحن)، نحن الشركاء، وأنا الشريك، وأنت شريكي. إنّها المكونات الذاتية التي جعلت بين الجميع الضمير الاعترافي (نحن) بإرادة، وعندما يحيد أحدٌ عن (نحن) الضمير المشترك بإرادة يحدث الانحياز والتهيؤ للميل السّالب أو الميل الموجب، وذلك حسب الموضوع المنحرف عنه والموضوع المنحرف إليه؛ فإذا كان الميل من موضوع موجب إلى موضوع آخر موجب يعدّ الميل أو الانحراف موجبا وفقا لدرجة التهيؤ ومستواه القيمي (ميلا منطقيا) وتعدُّ الحالة (متطلّعة)، وإذا كان الميل من موضوع موجب إلى موضوع أكثر إيجابية يكون الميل والانحراف موجبا وتوصف الحالة (بالموضوعية) التي تمّ بلوغ مستواها

القيمي بأسباب التهيؤ التام لبلوغ الموضوعية. أمَّا إذا تهيأ الفرد للميل من موضوع موجب إلى آخر سالبٍ؛ فإنَّ هذا الميل يُعدُّ سالبا وتوصف الحالة بالانسحابية (ذاتية تميل إلى الأنانية)، وإذا كان الميل أو الانحراف من الحالة الانسحابية إلى الحالة الشخصانية؛ فإنَّ هذا السّلوك يجعل الحالة أو الشخصية في المستوى الأدنى (مستوى الأنانية) التي لو كان لها من التهيؤ، لكانت في غير ما هي عليه من شخصانية.

التهيّؤ التطلُّعي:

التهيؤ قيمة تلفت الانتباه الفكري والعقلي لِما هو آتٍ أو متطلّع له بهدف تحسين الأحوال أو إحداث النُقلة من مستوى قيمي أدنى إلى مستوى قيمي أعلى؛ وإذا لم يتهيأ الإنسان لصناعة مستقبله فلا يمكنه صناعته، ومن يتطلّع لما هو مأمول ويسعى إليه عملا يبلغه غاية، وهنا يعدّ التهيؤ التطلّعي مرحلة من مراحل الوعي الفكري والثقافي، فيها تمتدّ الذّات من حيّز التمركز على ذاتها، إلى مجال التطلّع تجاه الأخر الذي له من الخصوصيات ما يميّزه عن غيره، ممّا يجعل الذات في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع قادرة على نيل كلّ ما من شأنه أن يحقق لها الفائدة والمنافع.

فالتطلُّعيّة تُعدّ منطقة وسط بين الذاتية والموضوعية، وهي مجال النشاط الفكري والسّلوكي المتميّز عن (الذاتية) والمتميّز عن

(الموضوعية)، ولكنَّه في الوقت ذاته مكوّن مشترك بين مقوّمات الذاتية ومقومات الموضوعية، ممّا جعله قاطعا مستقلا بذاته في خماسي تحليل القيم[119].

وعندما تقتصر رؤى الشخصية على مكّوِنات الذّات القيميّة، توصف بالذّاتية، وعندما تستوعب تلك الرّؤى وتستوعب إلى جانبها ما ينبغي أن تقوم به أو تفعله وتسلكه تجاه الآخرين، حينها توصف الشخصية في هذه الحالة بأنّها منطقية أو تطلّعية، حيث تتطلّع إلى ما هو أفضل وفقا لافتراضاتها المنطقية لِما هو متوقّع أو مفترض.

والمحذور الذي قد يظهر في هذه الشخصية المتطلِّعة، هو ليس كلّ ما يمكن أن تتهيأ إليه تطلعا يكون بالتمام على الحقيقة المتوقّعة؛ ذلك لأنَّ المتوقّع المتطلّع إليه تهيّأ بالضرورة يحتاج إلى زمن ومبررات الإثبات أو النفي، ولذا فإنَّ الأحكام التي ستثبته مؤجّلة، فإذا سلكتْ الشخصية أو فعلتْ أو حكمتْ وفقا لافتراضاتها؛ فقد تفعل أو تسلك خطأ، ومن ثمّ ففعليها أن تنتظر إلى أن تتبيّن حتى لا يقع الخطأ، ولهذا فعلى سبيل المثال: القضية التي تقول:

كلّ من وقف بعرفات كُتبت له حجّة

---

[119] عقيل حسين عقيل، خماسي تحليل القيم، دار الكتاب الجديد، بيروت، 2004، ص 38.

عبد الله وقف بعرفات

إذن عبد الله كُتبت له حجّة

هذه قضية منطقية لا شكّ فيها، ولكنّها قد تكون قضية لا مصادق لها، ولذا يصبح الشكّ فيها، فإذا كان عبد الله قد وقف بعرفات في غير موسم الحجّ، وفي غير يوم عرفات، فلا تُكتب له الحجّة، وكذلك إذا كان عبد الله موظفا أو طبيبا أو حارسا أو بائعا، ووقف بعرفات في يوم عرفة، بهدف أداء مهام خدميّة فقط؛ فلا تكتب له حجّة، وذلك لافتقاده مبررات أداء الفريضة، وهي أن يكون ضامرا للحجِ، وقد أدّى ما سبق من فرائض قبل الوقوف بعرفات، في هذه الحالة يصبح الوقوف بعرفات حقيقة للقيام بركن من أركان الدّين الإسلامي، ومن ثمّ ينطبق المنطق على الواقع الموضوعي.

وعليه فالإنسان المتطلّع للحقيقة بمنطق قيميّ معرفي، هو في حالة تطلّعيّة، أي أنّه في حالة النُقلة، من التمركز على الذّات إلى حالة الاتزان النفسي الذي يتفاعل مع قيم المجتمع وعاداته وأعرافه ومعتقداته، ثمَّ يتفاعل مع كلّ ما هو مفيد لدى الآخر، وليس بمنغلقٍ على ما يقصره دائما على تراثه القيمي، بل هو من يكون في حالة امتداد موجب مع الثقافات والأفكار الإنسانية الأخرى، وفي ذات الوقت لا

يُفرِّط في خصوصيّته الذاتية التي جعلت له تاريخ وفيه ما فيه من الكنوز المعرفية والقيمية.

وبعد أن كانت المغالبة في المستوى الذاتي للعاطفة في تقييم الآخر ومعتقداته وأفكاره وحضارته، بدأت المشاعر والأحاسيس الذوقية بالخوف تتهذّب تدبرا وتطلّعا تجاه ما يُفيد عند الآخرين دون إقصاء لأحدٍ منهم.

إذن التطلّعيّة شخصية توافقيّة، تستوعب قيم وفضائل (الذاتية) وتتفتّح بإرادة ومنطق على الآخرين دون أحكام مسبقة، وذلك لاعتمادها قيمة الحرّيّة في كلّ اختياراتها؛ فهي تتفاعل مع الحقّ والعدل والواجب والمسؤولية على مستوى الذات ومستوى الآخر، وعندما تتهيأ الشخصية لتجسيد هذا المفهوم التطلعي توصف بأنّها متطلعة ومستواها الفكري هو على المنطقيّة.

ولذا فعندما لا تسيطر العاطفة أمام العقل على الفعل والسّلوك بالتمام، يُفسح مجال جديد للعقل والنفس وتتهيأ منطقا بأن يكون التفكير فيما يجب، ممّا يجعل النفس تسعى لِما يُفترض أو تميل إليه، والميل هنا موجب، حيث التهيؤ والتطلُّع للأفضل، الذي يحافظ على الهويّة والخصوصية، ويمتدّ من أجل أن يتعرّف على الجديد المفيد، ويسعى إلى الحصول عليه. وهذا لا يعني أنَّ كلّ تهيؤ وكل ميل هو

موجب، فعندما تتهيأ الشخصية وتميل من حالة التمركز على الذات إلى حالة التخلي عن بعض من مكوناتها القيمية تصبح الشخصية على حالة من الانسحابية؛ فتوصف في هذه الحالة بالشخصية الانسحابية التي تتخلى عمّا يجب الأخذ به.

وعليه: فالتطلُّعية مرحلة من الوعي تُمكّن الذات من استيعاب دورها وما يجب أن تفعله مع الآخر، حتى لا يحلّ ما يخيف محلّ ما يجب.

ولأنَّ التطلّعية هي حالة تهيؤ ووعي بالمحيط المعرفي والثقافي والحضاري، فهي تُعدّ مرحلة نضج، به تتمكّن الشخصيّة المتطلّعة من الإلمام بالموضوع المشترك مع الغير كواقع لا مفرَّ من التعامل معه.

ولأنَّ (الذاتية) هي ما يدور من حوار بين الرغبات والمطالب، والحاجات والبواعث، والحقوق والواجبات والمسؤوليات، في حدود الدّين والعرف والقيم السائدة، على مستوى المجتمع أو الدّولة، حيث ثبات الذّات وتغيّر الأدوار وتنوّع المواضيع، فإنّ التطلّعيّة هي درجة من الاعتراف بأنَّ للآخر رغبات ومطالب وحاجات وبواعث مشبعة، حقوقا وواجبات ومسؤوليات ينبغي أن تُقدّر وتحترم، وإن لم تُقدَّر وتُحترم ستكون العواقب غير محمودة، ولذا فمن غير المنطقي أن يتمَّ تجاوزها أو الإغفال عنها، كي لا تُمسّ ولا تؤخذ بما هو على حسابها.

وللتمييز بين المستويات القيمية للشخصية المتهيئة أقول:

1 ـ الأنانية: معيارها الشخصانية (أنا كلّ شيء).

2 ـ الانسحابية: معيارها نفعي انسحابي (أنا أولا، وإلّا ..).

3 ـ الذاتية: معيارها العاطفة (نحن كلَّ شيء).

4 ـ التطلُّعيّة: معيارها المنطق (حُجّة بحُجّة).

5 ـ الموضوعية: معيارها العقل (نحن سوية).

وعليه: عندما يخاف الإنسان من المظالم، يتهيأ للتمسّك بالقيم والمعايير الاجتماعية التي تستنبط من الإطار المرجعي لمجتمع العاطفة، ويقدّر قيم الآخر ومعاييره، في هذه الحالة تعدّ ذاته في حالة تطلّعيّة، وعندما يتمسّك الإنسان بالقيم والمعايير الخيّرة بغض النّظر عن مصادرها، تؤسّس أحكامه على الموضوعية، وتُعد معاييره إنسانية. ولذا عندما تميل كفّة المعايير العامّة بمنطق على حساب كفّة المعايير الخاصّة، حينها تتهيأ الشخصية وتميل إلى الموضوعية فتوصف بالتطلّعيّة، وعندما تتهيأ وتميل إلى ذلك دون حُجّة ولا حقيقة، تصبح الشخصية في حالة ميلان إلى الأنانية.

ومع أنَّ المنطق يَفترض أنَّ النّاس متساوون في الحقوق والواجبات والمسؤوليات، إلّا أنَّ الواقع قد يُثبت غير ذلك، حيث نجد

البعض من بني الإنسان في حالة إشباع، والبعض في حالة عوز، والبعض في حالة ادّخار بعد الإشباع، وآخر في حالة شُح، والبعض الأخر في حالة إيثار حيث يُقدِّم من هو في حاجة أو من هو أفضل على من هو أقل، ولذا فالشخصيّة المؤثرة، هي الشخصية المنطقية التي تميّز بين ما يجب وما لا يجب، وعندما تحتكم بالمنطق تقول الحقّ وتفعل صوابا مصداقا لقول الله تعالى: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ}[120].

وهنا فالشخصية المتطلِّعة لا تقتصر أهدافها وغاياتها على الظرف الآني، بل تمتدّ منه إلى ما هو مستقبلي، فتتهيأ للمغالبة وتميل إليها.

التهيّؤ الانسحابي:

التهيؤ الانسحابي قرار مبدئي للتخلّي عمّا كان متمسك به، أو سحب الثّقة من ذلك المتمسك به أو المعتقد فيه؛ فيصبح الانسحاب شيئا فشيئا في مزيد من التنازلات، أي: بعد تلك المدافعات والمرافعات عمّا كان مبدأ أو قيمة أو معتقدا أصبح التخلي عنها في حالة تتابع وكأنّها مسبحة وقد انقطع الخيط الذي كان ينظمها.

---

[120] . سورة الحشر، الآية 9.

ومع أنّ الإنسان اجتماعي بطبعه وذاتي بالضّرورة، فإنّ هذه الضرورة قد يتمّ التخلي عنها والانسحاب عمّا تدعو إليه كلّما مرّت الشخصيّة بمواقف تفقدها ثباتها وصمودها، وعندما تحيد الشخصيّة عن مستواها الذاتي؛ فحيادها لا يلغي أنّها اجتماعية الطبع والتطبُّع، ولكن تهيؤ الفرد للشيء يجعل الشيء أمرا واقعا. فإن تهيّأ للتطلّع تطلّع إليه، وإن تهيأ للموضوعية والارتقاء علما ومعرفة وإيمانا وثقة أصبح موضوعيا، وهكذا إن استمرت الشخصيّة المنسحبة في انسحابها من قيم الذاتية الاجتماعية ستصل في النهاية إلى المستوى الأناني ممّا يجعلها مندرجة تحت الشخصية الأنانية التي تعتقد أنّها مركز العالم في الوقت الذي هي فيه سلبية حيث لا تفاعل ولا تطلّع لما يجب التطلّع إليه، مع وافر ما تسلكه من سلوكٍ سالبٍ تجاه القضايا والمواقف والمواضيع التي ينبغي أن يكون لها دور متفاعل تجاهها.

فالذات باعتبارها مكوّنا قيميا ومركزا لاندماج المشاعر والعواطف على المستوى الاجتماعي، تشكّل رقيبا على الأنا وأطماعها الشخصانية، وتكون قاعدة عريضة لأفرادها وجماعاتها المتهيئين للتطلِّع تجاه كلّ ما من شأنه أن يحقّق لهم مستقبلا أفضل. ولهذا توقُّعات الذات من أفرادها وجماعاتها هي دائما أن يكونوا مثالا اجتماعيا يصبو لما هو أفضل، ولكن هذا التوقّع أو ذلك الافتراض، لن يتحقّق دائما، بل في بعض الأحيان والظروف يتحقّق ما هو أدنى أو أقل من المتوقّع.

وعندما يسلك الفرد سلوكا أدنى أو أقل قيميا ممّا ينبغي، أو أن يتخلّى عن أداء المهام والمواقف أو ينسحب من ميادين أدائها، في هذه الحالة يوصف بالانسحابي (ذاتية تميل إلى الأنانيّة).

إذن على المستوى الذاتي يتوقّع المجتمع من أفراده الالتزام بأوامره ونواهيه، ويتوقّع منهم أيضا أن تكون شخصياتهم تطلُّعية، وفي الوقت ذاته يودُّ أن يكونوا حريصين على التمسُّك بذات المجتمع التي تميزهم عن غيرهم، وتحافظ على هويّتهم، ولكن لا يودّ لهم التقدّم بدون تهيؤ، ذلك لتوقّعه أنَّ التقدّم بدون تهيؤ هو الذي سينهي خصوصياتهم العقائدية والثقافية والقيميّة، ولا يودّ لهم الانسحاب جبنا من ميادين إثبات الهويّة، إنّه لا يقبل التخلي عن الذات ولا يسمح لأحدٍ من أفراده بالتفريط فيها، ومن يسلك أو يفعل ذلك توصف شخصيته بأنّها شخصية انسحابية (ذاتية تميل إلى الأنانية).

إنَّ تهيؤ الشخصيّة للميل عن التمركز على الذات إلى الاستحسان فيما تودُّ أن تُقدِم عليه بشخصانيّة، أو ترغب في فعله والقيام به، يجعلها في حالة مراجعة لِما كانت تؤمن أو فيما كانت تعتقد، وعندما تصحو من غفلتها، تتطلّع، وعندما تتعمّق في غفلتها تستجبن وتنطوي وتتراجع إلى ما هو أدنى بالمنظور الذاتي، ولكنّه قد لا يكون أدنى بالمنظور الشخصاني Personalism، فالشخصانية يتمركز تفكيرها على ما يُفيد أنا، دون وضع أهميّة للآخرين، أي المهم

أنا. والأنا هي المتجرِّدة من عاطفة الانتماء الاجتماعي الذي يُبرز أهمية الذّات على أهمية الأنا. أمّا عندما تصبح الشّخصية في حالة ميل من الذاتية إلى الانسحابية؛ فإنَّ ذلك يعني أنَّ الشخصية لم تتخلَّ عن كافة مكونات ذاتها، بل إنّها أصبحت متهيأة للتخلّي عن شيء منها، والذي يجعلها في حالة مغالبة هو تفضيلات الأنا على تفضيلات الذّات الاجتماعيّة، وهذا الأمر يؤدّي بالضرورة إلى مغالبة معايير الأنا ورؤاها على معايير الذّات ورؤاها.

وللتمييز بين الشّخصية الانسحابية والشّخصية المتطلِّعة، هو أنَّ الانسحابية متهيئة إلى الميل إلى الاتجاهات ذات المردود (السّالب) بمعايير الذاتية الاجتماعية، أمّا الشّخصيّة المتطلِّعة فهي المتهيئة إلى الاتجاهات ذات المردود (الموجب)، وهذا لا يعني أنَّ كلّ انسحاب هو ذو مردود سالب، ولا كلّ تطلّع هو ذو مردود موجب، فعندما تنسحب الشخصية من القيام بالأفعال المؤذية والمؤلمة خوفا، فإنَّ ذلك الانسحاب يعدّ انسحابا موجبا، وعندما تتطلّع إلى ما هو مؤلم وضار؛ فإنَّ تطلّعها هذا يعدّ تطلُّعا سالبا، وتوصف هذه الشخصية بالشخصية السّالبة أو الانسحابية حيث انسحابها من ميادين العمل الموجب وميلها إلى ميادين العمل السّالب الذي فيه من الآلام ما فيه.

وتُعدّ الانسحابية مكوّنا من مكوّنات الشخصية القابلة للانحراف والهدم السّلوكي، وليس مكوّنا بنائيا؛ فالشّخصية التي ترتكب

أو تسلك الأفعال غير المقبولة أو غير المفضّلة اجتماعيا ثمّ تكفّر عن ذاتها، وتعود مرّة ثانية، وتندم بين الحين والحين، ثمّ تعود إلى ما فعلت، وهكذا، تُعدّ هذه الشّخصية متردِّدة ومتبدِّلة، وذلك لمغالبتها للقيم المتبدّلة على القيّم الثابتة المفضّلة. وعندما يصل الحال بالشّخصية إلى أن تقطع كلّ علاقتها مع كلِّ موجب، ومع كلّ ما بني على القيّم الضميرية أخلاقا؛ فإنّها لن تتوقّف عن انسحابها إلى أن تصل إلى حالة الانطباع بالخصائص الأنانية والأفعال الشخصانية، وفقا لخماسي عقيل لتحليل القيم121.

إذن تهيؤ الأفراد للشيء سواء أكان موجبا أم سالبا يجعل من شخصياتهم بين إيجاب وسلب، ممّا يجعل لكلّ منهما بدايات معلومة ونهايات غير معروفة، قد تصل فيه حالة الشخصية المنسحبة من فضائل المجتمع الخيّرة وقيمه الحميدة إلى درجة من التوتّر الذي يؤدّي بها إلى فعل السوء لمن يتعارض مع مصالحها أو تعتقد أنّه يشكّل خطرا عليها أو على ما تسوّله النفس وتعتبره منافع لا ينبغي لغيرها أن يشاركها فيها، قال تعالى: {إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي}122. النفس الأمارة بالسّوء هي النفس المائلة للشهوات، والمبتعدة عن الأفعال

121 عقيل حسين عقيل، خماسي تحليل القيم، دار الكتاب الجديد، بيروت، 2004.

122. سورة يوسف، الآية 53.

المنطقية والأخلاقيّة التي تجعل الإنسان في حالة وعي وتمييز متّزن بين ما يجب وما لا يجب.

وعندما يحدث التحلّل من العلائق القيميّة الاجتماعية الضابطة للسّلوك، سواء أكان هذا التحلُّل على مستوى الأسرة أم الجماعة أم المجتمع بكامله، تحدث الانحرافات والميول التي تُغيّر سلوكيات وأفعال الأفراد من مكانة اجتماعية إلى مكانة أخرى، ومن موقف إلى موقف، مع اختلاف درجة تأثيرها من شخص إلى شخص آخر. وفي مثل هذا الأمر نجد الشّخصية الانسحابية المتردّدة، أو المتطرّفة والمنفعيّة، والمصلحيّة الخانعة، ومسلوبة الإرادة وغير المبالية؛ فكلُّ هذه الصّفات تحتويها صفة الشخصيّة الانسحابية (ذاتية تميل إلى الأنانية)، التي تنمو فيها مغالبة الرّغبات والشّهوات الخاصّة على الرّغبات والضوابط العامّة، فتميل إلى ما تهيأت إليه من سلوكٍ متعارض مع القيم الحميدة والمعارف الضميرية، فتُقبِل على المطالبة بالحقوق والابتعاد عن أداء الواجبات وتجنّب حمْل المسؤوليات، ذلك لأنّها شخصيّة انسحابية.

ولأنَّ الانسحابية مرحلة يملؤها الخوف بين إرادة سلبية، وبين كرهٍ كما هو في مرحلة اليأس التي هي مرحلة عمرية نفسية ضعفا ووهنا؛ فهي عندما تسود يسود الوهن في العقل والجسم والقدرة والاستعداد؛ فيحدث الانسحاب، ويسود النفس في بعض الأحيان التردّد، أو

التخلي عن أداء ما ينبغي أن يؤدّى بين الناس قيما حميدة وفضائل خيّرة.

وحالة اليأس هذه لا تقتصر دائما على المرحلة المتقدّمة عمريّا، بل في بعض الأحيان تسود الشخصية الانسحابية وهي في ربيع العمر عندما تستسلم للأمر الواقع، نتيجة الضّعف الذي يلمّ بها، وهو في كثير من الأحيان تسبّبه الحاجة، أو الرّغبة فيما لا يجب، أو الجبن أثناء المواجهة من عواقب الأمور، وهذه من مبرّرات النّفس اليائسة القانطة من رحمة الله، أمّا النّفس التي لا تيأس ولا تقنط من رحمته؛ فهي التي دائما يراودها الأمل، ولذا نراها متهيأة للجد والاجتهاد فتسعى حتى بلوغ الأمل الذي جعل منها شخصية متهيّأة متطلّعة تمتلك الحُجّة والمنطق المحقّق لإحداث النُقلة إلى ما هو أفضل وأعظم.

وعليه فإنَّ التهيؤ للانسحاب هو نتاج مقارنة عقلية بين ما يعانيه الفرد من ضغوط الحاجة أو الثقافة أو السياسة، وما هو عليه من إمكانات سوأ أكانت مادية أم معنوية، ممّا يجعل الانسحاب يحتاج إلى وقت كافٍ لذلك؛ فالانسحاب لم يكن قرارا قابلا لأن ينفّذ في ساعة واحدة، بل هو مولود المعاناة والضغوط النفسية والمادية والسياسية على شخصية الإنسان الذي من وجهة نظره لا يرى شيئا ينقذه من هذه التأزّمات إلّا الانسحاب مما هو فيه أو ممّا هو عليه. ولذلك فتحقيق الشخصيّة الانسحابية يحتاج إلى:

. زمن الاستيعاب: الفترة التي تُمكِّن المنسحب من استيعاب المتغيرات والمبررات الجديدة.

. زمن الانفكاك النسبي: الفترة التي تُمكّن المنسحب من التخلُّص من الارتباطات القيميّة السابقة، والعلائق التي انتظمت على مستوى الذات.

. زمن الارتباط: الفترة التي يكوِّن فيها المنسحب علائق جديدة مع الوسط القيمي الجديد.

. زمن الفعل: فترة التبدُّل التي تُمكّن المنسحب من الإقدام على الأفعال التي كانت محرّمة أو محذوفة من قاموسه القيمي.

. زمن العادة: فترة التكرار السّلوكي مع الدّيمومة بما يشكِّل الخصوصية الجديدة والسّلوك الجديد.

ومن هنا لا يمكن أن يتمَّ التغيُّر نُقلة واحدة من التمركز على الأنا أو الذات أو الموضوع، بل لابدَّ من مسافة تسمح بالامتدادّ للممتدّ وتسمح بالانكماش للمنكمش، وكذلك لابدَّ من زمن لكلّ امتداد أو انكماش. ولا يمكن أن تكون الذات مكوّنا مستقلا عن الأنا أو الموضوع، ولا يمكن أن تتجرّد من الميلان إلى الموجب أو السّالب، ولكن كلٌّ حسب الظّرف والموضوع والمتغيرات المدخلة أو المخرجة.

ولذا عندما ينسحب الفرد من موقف لموقف، أو من موضوع لموضوع؛ فهو بالضّرورة يضع نفسه في مكان التخلّي عن موقف أو موضوع ما والتهيؤ لموضعٍ آخر يجد نفسه منحازا إليه، وهذا لا يعني أنّ كلّ انحياز هو ذو عائدٍ سالبٍ، بل هناك من الانحيازات ما هي ذات مردود موجب، كالانحياز للحقّ والعدل، أمّا الانحياز للعبودية والظّلم؛ فهي انحيازات ضعف وجبن ووهن سالبة، وهذا النّوع من الانحيازيات هو الذي تمتدّ فيه الشخصية الانسحابية إلى النّهاية.

التهيّؤ الأناني (Egoism)

ومع أنَّ التهيؤ قيمة، فإنّه لا يكون كذلك إلّا بين سالبٍ وموجبٍ؛ فإن كان التهيؤ للموجب وعُمل من أجله كان العمل موجبا، وإن كان التهيؤ للسّالب وعُمل من أجله كان العمل سالبا، أمّا التهيؤ الأناني فهو يتعلّق بتوجيه التهيؤ وفقا للرغبة الخاصّة بمطمع خاصّ حتى وإن كان على حساب الغير، أو حتى وإن كان فيه ضرر للغير، ممّا يجعل عنوان الأنانية (أنا ومن بعدي الطوفان) وكأنّ العالم خلق للأنا دون غيرها.

فالأنا هو ضمير يعود على من ينطق به؛ فأنا يشير إليَّ، وأنت تشير إليك، وهم تشير إلى من لم يكن أنا وأنت، ونحن تحتوينا، وتستثني غيرنا. وترتبط الأنا بالأنانية عندما تخرج عن الذّات والموضوع، وفي هذه

الحالة توصف بأنّها في حالة ميل أو انحراف سلوكي يؤدّي بها إلى الأنانية، حيث إظهار السّلوك الأناني على حساب الآخرين الذين لهم الحقّ في الوجود أو الظهور المماثل.

فالأنانية مرحلة من مراحل الجبن المكوّن للشّخصية الفاقدة للقيم والثقافة والسّلوك الاجتماعي والإنساني، والمستجيبة للرّغبات والأهواء والأطماع الخاصّة، التي تهيأ الفرد بها سلوكا وفعلا وعملا أنانيا، حيث لا مكان في نفسه للقيم والفضائل التي تكون ذات المجتمع والانتماء إليه.

وترتبط الأنا بالآخر والموضوع عندما تكون العلاقة موجبة، وتنفصل عن الآخر والموضوع عندما تكون العلاقة سالبة، وكلّما ظهر الأنا مع الآخر في الموضوع الواحد وهما في حالة تساوٍ وفق الحاجة والجهد قويت العلاقة بينهما، وكلّما ظهر الأنا أنانيّةً على حساب الآخر ضعفت العلاقة بينهما، وقد يحدث الصدام وتسود الفرقة إلى حين الالتزام بحقّ الآخر في الموضوع دون منّة؛ فالانا الموجبة هي التي تتمسّك بما لها من الموضوع دون أن تمسّ حقّ الآخر فيه.

وعندما تكون أهمية الأنا وعيا عند الآخر، وتكون أهمية الآخر وعيا عند الأنا، تصبح الأنا متهيأة بالخوف الذي به تتمكّن من الاعتراف بحقّ الجميع في الموضوع العام، وفي مقابل ذلك عندما تعمّ

الجهالة الأنا والآخر في الموضوع المشترك يُطمس أحدهما على حساب الآخر ويسود السّلوك الأناني الذي تترتّب عليه الأفعال السّالبة.

وبما أنَّ لكلّ فرد خصوصية تميّزه عن غيره وفقا لقدراته واستعداداته وميوله وثقافته، إذن فلا داعي لطمسها، بل من الواجب إظهارها بما يمكّنها من أداء مهامها الخاصّة بموضوعية واعتبار، وعندما لا تطمس الخصوصية، لا تطمس الذات العامة التي هي مجموع تفاعل الخصوصيات، فأنا كفرد أعرف أنّ ليّ حقوقا وعليّ واجبات، ولذا أتحمّل المسؤولية مع الآخرين الذين لهم علاقات بالمواضيع المشتركة بيننا.

ولأنَّ لكلِّ أنا عاقل حقوق يخاف عليها، إذن بدون شكّ إن لم تعط له بإرادة ليس له بدّ إلّا أن يأخذها بالقوة، وله الحقّ في التصرُّف الحرّ في حقوقه، ولا حقّ له في الامتداد على حساب حقوق الآخرين، ولا يحقّ لأحدٍ أن يُقيّده عن ممارسة حقوقه، وإذا وُضِع القيد على الحقوق وجب فكّها أو كسرها بالقوّة، ولا ننسى ما يتركه وضع القيد من أثرٍ على الأنا، الذي بلا شكّ سيفكّر تهيؤا مرتين أو أكثر قبل أن يفعل أيّ أمر، وسيضع إشارات الاستفهام والتعجُّب على من كان سببا في وضع القيد، وقد تحدث المواجهة كلّما توافرت اشتراطاتها، ولكي تصبح حركة الأنا موجبة ينبغي أن يفسح له الامتداد في مجالات العلائق القيمية الآتية:

. مجال العلائق القيمية الاجتماعية.

. مجال العلائق القيمية الإنتاجية.

. مجال العلائق القيمية السياسية.

. مجال العلائق القيمية النفسية.

. مجال العلائق القيمية الذوقية.

. مجال العلائق القيمية الثقافية.

وعليه إذا لم يُسمح للأنا بحرّيّة الامتداد في المجالات العلائقية السّابقة تصبح الأنا في حالة سلبية تؤدّي بها إلى ارتكاب الأفعال التي تضفي عليها صفة الأنانية (الشخصانية)، وعندما تصبح الأنا مملوءة أنانية، تظلُّ فاقدة لمكونها الإنساني؛ فلا تعطف ولا تخاف ولا تقدم على ما من شأنه أن يجعل لها شأنا اجتماعيا وإنسانيا.

ولسائل أن يسأل:

لماذا بلغ الحال بها إلى هذا المستوى الشخصاني؟

أقول:

لأنَّ التهيؤ بأسباب الغفلة والجبن قد سكن فيها سكونا؛ فلا حركة ولا امتداد. ولذا فمع أنَّ الذي لا يخاف لا يُخيف، إلّا أنَّه يشكل عبئا على الآخرين الذين يخافون على الجميع.

وفي مقابل أخذ الحقوق ينبغي أن يتهيأ الأنا لتأدية واجباته، وإذا لم يتمَّ أخذ الحقوق بإرادة، فلن يتهيأ إلى تأديتها، ومن ثمّ، فلا ينبغي أن يُطلب منه أداؤها، ذلك لأنَّ الواجبات تؤدّى في مقابل أخذ الحقوق، حيث تماثل أخذ الحقوق مع أداء الواجبات.

وإذا لم تؤدّي الأنا واجباتها بالتمام في ضوء ما تأخذه من حقوق تصبح الأنا ذات خصائص وصفات أنانية، ولهذا ترتبط الأنا بالشخصانية والفردية عندما تنفصل عن الموضوع والذات، وترتبط بهما عندما تنفصل عن الأنانية (الشخصانية).

ولأنَّ الأنا إثبات وجود موجب عندما تتماثل فيه ممارسة الحقوق مع أداء الواجبات وتحمّل المسؤوليات، لذا فإنْ لم يتمّ التماثل الموجب، تصبح الأنا في منعرج السّلوك الأناني الشخصاني الذي يُقيّم الأمور من زاوية تحقيق المنفعة التي تعود عليه، بغض النّظر عمّا يصيب الآخرين من ضرر، ممّا يجعل لسان حال الأنا (المهم أنا).

ومع أنّ المسؤولية عبء وحمل ثقيل؛ إلّا أنّها ضرورة للأنا، وفي الوقت ذاته هي حقّ يجب أن يؤخذ، وواجب ينبغي أن يؤدّى، ولذا

تعدّ المسؤولية الضلع الثالث في مثلث ممارسة الديمقراطية، حيث لا ديمقراطية بلا تهيؤ يُمكِّن من ممارسة الحقوق، ولا ديمقراطية بلا تهيؤ يُمكِّن من أداء الواجبات، ولا ديمقراطية بلا تهيؤ يُمكّن من حمْل المسؤوليات وتحمّل ما يترتّب عليها من أعباء.

وعليه:

فمن زاوية نظرية أنَّ لكلِّ (أنا) حقوقا وواجبات ومسؤوليات، ومن واقعٍ فعلي قد لا تمتلك الأنا شيئا من هذه المكوّنات الرّئيسة لمثلث ممارسة الدّيمقراطية، ممّا يجعلها فاقدة لذاتها، ولا مفرّ لها من أن تنسلخ عنها لتمارس السّلوك الأناني والشخصاني كردِّة فعل.

ومع ذلك ليس دائما الأنا تسلك أو تفعل نتيجة ردود أفعال سالبة، بل في بعض الأحيان تمتلك الأنا كلّ الحقوق والواجبات والمسؤوليات المتعلقة بها ثمّ فوق ذلك تمتد طمعا على حساب ما يمتلكه الآخر، فتوصف هذه الأنا بالطّامعة الفاقدة لقيم الاحترام والاعتراف والتقدير والاعتبار للآخرين.

وبناء على ما سبق أتساءل:

لماذا يودُّ البعض أن يُظهِر أنانيته (شخصانيته) على حساب قيم وفضائل المجتمع الإنساني؟

أقول:

متى ما تهيأ الفرد لضيق أفقه ضاق به أفقه أو ضاق عليه، فتصبح رؤيته ضيّقة وتفكيره قاصرا، ممّا يجعله في حاجة لمن يخرجه من همّه وغمّه؛ ولهذا ستظل الأنانية مرضا (اجتماعي نفسي) يمكّن للمتخصصين الاجتماعيين والنفسيين من التعامل معه بعد دراسة موضوعية وافية؛ فانتشار المظالم بأنواعها المتعدّدة وفي كلّ المجالات (السياسية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية والذوقية والثقافية) ينتج الكثير من التأزمات التي تؤدّي بالبعض إلى الانسحاب من ميادين المنافسة وإثبات الذات والتطلّع إلى صناعة المستقبل.

ومع أنَّ مكانة الأفراد والجماعات والمجتمعات ذات علاقة بالتّاريخ والقيم والفضائل التي تصنع الهويّة، إلّا أنّ البعض لا يضع لكلّ ذلك أهميّة؛ فينسحب من بعض القيم والفضائل المرسّخة للمكانة والهيبة، وينطوي على أناته وكأنّها العالم بأسره، في الوقت الذي هو فيه غافل عمّا يجب تجاه نفسه وتجاه الآخرين.

ولأنَّ للفروق الفردية أثرا على مكوّنات الشخصية، فالأفراد يتفاوتون في درجات التمسّك بما يجب، ودرجات التخلّي عمّا يجب، وفي درجات التقبُّل والرفض، ممّا جعل لكلّ واحد مستوى من المستويات القيمية في خماسي تحليل القيم.

ومع أنَّ الإنسان قد خُلق في أحسن تقويم، إلّا أنّه خُلق ضعيفا من حيث كونه لا يكون قادرا على الحياة ما لم تتلقّفه أيدٍ آمنة تمدّه بالرّعاية والعناية كما تمدّه بحنان الأبوّة والأمومة والأخوّة، ومع أنَّ هذا الإنسان الضّعيف خُلق ضعيفا، إلّا أنّه قادر على استمداد القوّة وإظهارها متى ما شاء، ولهذا يتظاهر البعض بالقوّة بين الحين والحين كلّما عرف بأنَّ الآخرين في حالة وهن وضعف، فيتمرّد البعض على المساكين، والبعض الآخر يتمرّد على الظلم في مصادره؛ فنجد البعض ينسحب من ميادين أداء الواجبات وتحمّل المسؤوليات، في مقابل إقدام البعض الآخر على أدائها، ممّا يجعل التمرّد على المساكين في دائرة الممكن سلوكا سالبا لا يقدم عليه إلّا الجبناء، ويجعل التمرّد على الظلم سلوكا موجبا لا يقدم عليه إلّا من كان لبنة تهيؤ لصناعة التاريخ.

ولأنّ الإنسان في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع هو على حالة من التهيؤ بين سلوكٍ موجبٍ وسلوكٍ سالبٍ، إذن لا استغراب فيما يفعل، بل الاستغراب أن لا يفعل، وعليه، فالإنسان الذي عصى الله الذي خلقه، لا يُستغرب منه أن يعصي المجتمع الذي لم يخلقه، ولذا فالأنانية عندما تسود أفعالها تُنسي الإنسان معرفة من هو؟ ومن الذي خلقه؟ ولماذا خلقه في حاجة والخوف في مكوّناته؟

أقول:

خلقه على الحاجة ليكون متهيئا وخائفا حتى يبلغ مشبعاتها، وخلقه على الضّعف ليكون متهيئا وخائفا حتى يستمدّ القوّة، وخلقه قاصرا حتى يتهيأ إلى معرفة التمام، وخلقه جاهلا حتى يتهيأ ويبلغ درجات العلم الرّفيعة، وخلقه فردا متهيأ وخائفا ليكون مفردة من مفردات المجتمع الآمن.

التهيّؤ الموضوعي (Objectivity)

التهيّؤ الموضوعي تهيؤ عن حُسن تذكّر وتدبّر وتفكّر واختيار وإرادة حيث لا ضغوط سوى التهيؤ لما يجب؛ فمع أنَّ التهيؤ واحد لا يتجزأ، إلّا أنَّه على السُلّم القيمي درجاته لا تتساوى؛ فمنها التهيؤ الذاتي الذي لا يتعدّى الروابط الاجتماعية، ومنها التهيؤ التطلعي المحتوي للذات والمتطلّع لكلّ ما لم يكن على حِسابها، ومنها التهيؤ الانسحابي الذي فيه تتخلّى الشّخصيّة عن بعض القيم المفضّلة لدى أفراد المجتمع وجماعاته، ومنها التهيؤ الأناني الذي يغالب الجبن فيه صاحبه، ممّا يجعل التهيؤ والخوف ساكنا حيث لا حركة تؤدّي إلى معرفة الحلّ.

أمّا المستوى القيمي للتهيؤ؛ فهو التهيؤ العدل الذي لا يسعى صاحبه إلى قول باطل، ولا ارتكاب مظالم، ولا سلوك ليس بقدوة،

حيث لا انحياز لعصبيّة بغير حقّ، ولا إقصاء لمن له حقّ، ولا تغييب لمن عليه أداء واجب أو حمْل مسؤولية.

فالمستوى القيمي للتهيؤ الموضوعي يأمل الحلّ الذي يقضي على الألم كما يقضي على ارتكاب المظالم، وأصحاب هذا التهيؤ هم الذين يشخِّصون الحاضر، ويستقرئون المستقبل؛ فيقررون ما يجب، ويحرّضون عليه، ويبشِّرون به، ويرشدون إليه.

ولذا كلّ شيءٍ عندما يتطابق مع ما يجب يكون في محلّه متطابقا موضوعيا، وكلّ شيء عندما يتميّز عن غيره بما يجب، ينبغي أن يكون تميّزه في محلّه موضوعيا، ولهذا التنوّع والتميّز والاختلاف والتباين من الطّباع الموضوعية التي يجب أن تُقدّر وتُعتبر وتُحترم ويتمّ الاعتراف بها في دائرة الممكن.

وعليه تُعد الموضوعية مكوّنا قيميّا استيعابيا تندمج فيها المعارف الإنسانية والعلوم والثقافات التي تحتوي الأنا وتستوعب الآخر، وتنتج أفعالا وسلوكيات تؤدّىَ من قِبل الجميع بإرادة، وتكوّن منظومة قيميّة ذات أبعاد ومرامٍ إنسانية خالية من التعصّب والتحيّز، خوفا من سيادة المظالم والمفاسد على حساب الأمن والسكينة.

إذن الموضوعية مستوى من القيم والفضائل الإنسانية، فيها تسود أخلاق المساواة بكلّ شفافية دون أن يسود أحد على حساب

سيادة آخر، فلا تحتكم إلّا للعقل، فبعد أن كانت الشخصية تحتكم في قاطع ذاتية تميل إلى الموضوعية (التطلّعية) بالمنطق الذي يعتمد في أحكامه على ما هو متوقّع أو مفترض، أصبحت تحتكم بالعقل الذي به تتميّز في أحكامها وسلوكياتها بعد أن تتبيّن الحقّ من الباطل والخير من الشر وما يجب وما لا يجب مخافة من المظالم.

فالموضوعية مستوى من مستويات التفكير الإنساني الورع، حيث يخاف الإنسان من ارتكاب الأفعال الظالمة ومن المترتّب على فعل الظلم. ولا يمكن أن تكون الموضوعية سلوكا أو فعلا ما لم يرتق التفكير إلى مستوى توفُّر الثقة الدّاعمة للإرادة، والممكّنة للفرد من اتخاذ قرار إنساني عن وعي وبتجرّد.

في هذا المستوى القيمي الموضوعي تُقيّم الظروف والمواقف الفردية والجماعية والمجتمعات خوفا على الجميع وبكلٍّ موضوعية عندما تتوافر معطياتها واشتراطاتها المبررة لوجودها، ولذا فإنَّ الموضوعية مرحلة وعي متقدّم على مستوى الثقافة والفكر الإنساني؛ فهي المملوءة بالمخاوف من أجل التهيؤ للحقائق المجرّدة قولا وعملا وسلوكا وفعلا؛ فلا تميل كلّ الميل، ولا تصدر الأحكام بلا معلومات ومعارف واضحة خوفا من ارتكاب الأخطاء أو المظالم، ولهذا فالموضوعية مرحلة تيقُّن ومعرفة يتهيأ بها العقل ليتجاوز مراحل الانحرافات والميول السّالبة التي

تحيد أفعالها كثيرا أو قليلا عن الحقيقة، وتنحاز إلى غير ذلك، إنّها المبتعدة عن المنقوص والمتمسّكة بكلّ فعل تام.

المستوى القيمي للتهيؤ الموضوعي فيه تُقيّم الأمور بنزاهة لا بعاطفة، فهي ليست حالة اعتدال كما هو حال قاطع الذاتية في خماسي تحليل القيم، وهي ليست حالة من حالات التطرّف والانسحاب كما هو الحال في قاطعي (الأنانية) و (التطلّعية)، بل هي حالة من الانسجام والتطابق مع مبرّرات المواضيع ومعطياتها العلمية، ولذا فإنَّ الموضوعية تتمركز دون تردّد ولا جبن على:

. التجرّد من رغبات الأنا وأطماعه ومصالحه الشّخصانية.

. لا تعترف إلّا بما يجب، ولا تؤدّي إلّا الأفعال الواجبة السّلوك.

. تُقيّم الأنا والذّات والآخر بمنظور معياري، لا بمنظور مزاجي عاطفي ولا بمنظور شخصاني.

. السّلوك والأفعال الحضارية المتماثلة مع الثقافة المستوعبة لكلِّ خصوصية.

. الاعتراف بوجوبيّة أخذ الحقوق.

. الاعتراف بأحقيّة أداء الواجبات.

. الاعتراف بأهميّة حمْل المسؤوليات.

ـ التقدير لمن يجب ولِمَ يجب.

وعليه: فإنّ التهيؤ الموضوعي يحقّق الشّخصيّة المتوازنة معرفة، لكونها تعتمد على قوّة البصيرة التي تمكّنها من معرفة الحقيقة، وتميّزها عن غيرها من الأنفس، {بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ}[123]؛ فالبصيرة قوّة عقلية واعية يتبيَّن من خلالها الإنسان الموضوعي معرفة ما يجب وما لا يجب، وعندما يسلك لا يتردّد، لثقته فيما يفعل أو يسلك عن معرفة سبقتها تهيؤات صائبة.

ولسائل أنْ يسأل:

ـ من أجل ماذا التهيؤ الموضوعي؟ ومن الذي يتّصف به؟

أقول:

التهيؤ الموضوعي من أجل الحقّ ليس إلّا، والذي يتّصف به هو الساعي لإحقاقه.

ولهذا فالذين يسعون دائما لإحقاق الحقّ لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، أي إنَّ الذين استقاموا لا اعوجاج فيهم؛ فهم على الصّراط، ولكن متى يكون الإنسان على الصراط؟

أقول:

---

[123] القيامة 14، 15.

عندما تمتلئ نفسه بالسّكينة حتى تصبح مطمئنة، مصداقا لقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ}124.

إذن الموضوعية يملؤها التهيؤ، والأمل لا يفارقها من أجل إظهار الحقيقة مهما اختلف الزّمان والمكان والثقافة أو الدّين والعرف؛ فالحقيقة واحدة سواء أكانت ذات مؤثِّر سالب أم ذات مؤثّر موجب؛ فالكذب حقيقة والصّدق حقيقة، والنفاق والرّفض والتمرّد حقائق كغيرها من الحقائق، والموضوعية هي قول الحقيقة وفعل الحقيقة، وفي المنطق الموضوعي ليس عيبا أن يقال للكاذب كاذبا، وللسّارق سارقا وللصّادق صادق، بل العيب ألا يقال ذلك حقيقةً. هذه هي الموضوعية كحقيقة لا تتبدّل ولا تتغيّر مهما تغيّر الزّمان والمكان أو تغيّرت وجهات نظر الأفراد وتبدّلوا نتيجة تعرّضهم إلى مؤثّرات ومتغيّرات من الدّاخل أو من الخارج.

وبما أنَّ الحقيقة هي ما يتطابق مع الموضوع، إذن ليس بالضّرورة أن تكون الموضوعية منطقية، وذلك لأنَّ معايير الحقيقة ليست هي المعايير المنطقية، فمعايير الحقيقة هي الصّدق والثبات، أمّا معايير

---

124 فصّلت 30، 31.

المنطق؛ فهي الافتراض والتوقّع؛ فالإنسان كونه موجودا وجوده حقيقة موضوعية وليس وجودا متوقّعا، وتفكيره منطق، ذلك لأنَّ التفكير مرتبط أو مترتّب على وجود الإنسان باعتباره متميّز بقدرات العقل المفكّر، والحكم على أنَّ الإنسان موجود وأنّه مفكّر هو الحقيقة الموضوعية، ولكن ليس بالضّرورة أن كلّ إنسان موجود هو مفكّر، حيث إنَّ البعض موجودون ولكنّهم فاقدون لحاسة التفكّر والتذكّر اللتين هما من خاصيّة الإنسان، وهذا ما يجعل المنطق ليس بالضّرورة أن يعكس الحقيقة على ما هو واقع.

وفي الموضوعية ينطبق الحكم على المحكوم، حيث تطابق المعطيات المثبتة بالملاحظ أو المشاهدة، وإذا لم ينطبق الحكم على المحكوم تصبح الحالة المحكومة تحسّ بالظلم؛ فترفض وتطالب بالنقض، وإلّا ستتمرّد وتثور بأسباب التهيؤ والخوف من مصدر الظلم، ولذا عندما يتطابق الحكم أو الفكرة مع الواقع تسود الموضوعية؛ فتصبح سلوكا أو فعلا ماثلا إثباتا وليس افتراضا.

وعليه: عند إجراء الدراسات والبحوث العلمية لظاهرة أو مشكلة ما يطلب البعض من الباحث موضوعيا أن يتجرّد من خصوصيته الاجتماعيّة والتشريعيّة التي بها يتميّز عن غيره، لكيلا يتأثّر بها عاطفيا على حِساب موضوعية البحث العلمي، ولكن إذا كان

الأمر كذلك، هل تُعدّ الخصوصية عيبا علميا يجب تلافيه، أم أنّها تُعدّ ميزة علمية ينبغي ألا تُهمل في البحث الموضوعي؟

أقول:

إذا كانت الخصوصيّة ذات تأثير سلبي على إظهار الحقائق (هي كما هي)، بدون شكٌ هي عيب لا علاقة للعلم بها؛ فالعلم تجريد الحقائق ممّا يعلق بها، وليس تلبيس الحقائق بباطل، ولذا فإنَّ البحث العلمي الموضوعي، هو الذي يتدارك الخصوصيات بالبحث دون أن يهمل شيئا منها، ولكن البعض الذي يدّعي الموضوعية أو يودّ لها أن تكتسي بما ليس فيها، هو الذي يُعدُّ في حقيقة أمره خارجا عنها، تلحقه الإشارات ولا يستطيع إلحاق الآخرين بإشارة منها.

ولأنَّ للخصوصية دلالة ومعنى، لذا لقد خُلقنا عليها، ممّا جعل بصمات الجميع لا تتساوى ولا تتطابق مع الجميع؛ فلكلٍّ خصوصيّته التي خُلق عليها دون غيره، مصداقا لقوله تعالى: {وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ}125.

ولذا إنْ كانت الخصوصية من صنعنا، فقد يكون العيب فيها، وإنْ كانت من صنع صانعنا؛ فكيف يمكن لأحدٍ أنْ يتخلّص منها؟

125 الأنعام 94.

وعليه فالموضوعية هي: أن تُقدّم الحقائق كما هي لا كما ينبغي أن تكون عليه، ذلك لأنَّ ما ينبغي أن تكون عليه هو المطلب، وستظلّ الحقيقة كامنة في الموضوعيّة إلى أن يتحقّق ذلك المطلب الذي يُقدِّمها موضوعيا (هي كما هي).

إذن الحقيقة علميا هي كشف الزّيف عن المعلومة سواء أكانت هذه المعلومة صادقة أم كاذبة، فينبغي أنْ تُقدَّم (هي كما هي) ولا تُقدّم كما يودّ البعض أن يقدّمها.

ولإزالة اللبس والغموض عن الموضوعية، ينبغي أن نفرّق بين التزام الباحث بخطوات البحث العلمي أثناء تقصي المعلومات والبيانات التي تعكس حقيقة الموضوع، وشخصانية الباحث وأنانيته التي لا تعكس حقيقة الموضوع، ولذلك التزام الباحث بدينه وتحيّزه إليه هو حقّ لا يعدّ عيبا، بل العيب أن لا ينحاز إليه باعتباره الحقّ، وعلينا في مثل هذه الحالة أن نميِّز بين الدّين كموضوع وسلوك البعض، وبخاصّة الذين ليس لهم علاقة بالموضوع، ولهذا فمن الموضوعية أن يتميّز موضوع الباحث المسلم عن موضوعات غيره من البحاثين غير المسلمين عندما يكتبون عن الدين الإسلامي، وفي مثل هذه الحالة لسائلٍ أن يسأل:

من هو الباحث الموضوعي يا ترى؟

أقول:

في اعتقادنا سيكون الباحث المسلم أكثر موضوعيّة من غيره عندما يتعلّق موضوع البحث بالدّين الإسلامي، ويكون المسيحي أكثر موضوعية من غيره عندما يكون الموضوع قيد البحث يتعلّق بالمسيحية، وهكذا يكون الباحث اليهودي أكثر موضوعية عندما يتعلّق أمر البحث بالدّين اليهودي، ولذا فالباحث المسلم عندما يكتب عن دينه (الإسلام) يُفترض أن يكون هو الأقرب إلى المعلومة الصّادقة من الكاتب غير المسلم، وهكذا حال الباحث الكنفوشي أو البوذي عندما تكون مواضيع البحوث ذات علاقة بأديانهم ومجتمعاتهم؛ فكلّ منهم يُفترض أن يكون موضوعيا عندما يتعلّق موضوع البحث بدينه أو مجتمعه، وهكذا هي الموضوعية من يتهيأ لها يصبح متصفا بها ومن لا يتهيأ لها فلا إمكانية.

صدر للمؤلّف

صدر للمؤلّف 68 بحثا نشرت داخل ليبيا وخارجها.

صدر له 83 مؤلّفا منها خمس موسوعات.

أشرف وناقش 74 رسالة ماجستير ودكتوراه.

. مجالات اهتمام المؤلف البحثية:

1 . الخدمة الاجتماعية والتنمية البشرية.

2 . طرق البحث الاجتماعي.

3 . الفكر والسياسة.

4 . الإسلاميات.

5 . الأدب

تُرجمت ونشرت له مؤلّفات باللغة الإنجليزية والتركية.

مواضيع المؤلّفات

1 . مستوى التحصيل العلمي بمرحلة التعليم المتوسط، طرابلس ليبيا، 1989م.

2 . الأصول الفلسفية لتنظيم المجتمع، منشورات جامعة طرابلس، ليبيا، 1992م.

3. فلسفة مناهج البحث العلمي، منشورات الجأ، 1995م.

4 . منهج تحليل المعلومات وتحليل المضمون، منشورات الجأ، مالطا، 1996م.

5 . سيادة البشر دراسة في تطور الفكر الاجتماعي، منشورات الجأ، مالطا، 1997م.

6 . المفاهيم العلمية دراسة في فلسفة التحليل، المؤسسة العربية للنشر وإبداع، الدار البيضاء، 1999م.

7 . البستان الحلم، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1999م.

8 . التصنيف القيمي للعولمة، منشورات الجأ، مالطا، 2001م.

9 . الديمقراطية في عصر العولمة (كسر القيد بالقيد)، دار الجأ، مالطا،

2001م.

10 . نشوة ذاكرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2004م.

11 . خماسي تحليل القيم، دار الكتاب المتحدة، بيروت، 2004م.

12 . منطق الحوار بين الأنا والآخر، دار الكتاب المتحدة، بيروت، 2004م.

13 . خدمة الفرد قيم وحداثة، دار الحكمة، 2006م.

14 . خدمة الجماعة رؤية قيمية معاصرة، دار الحكمة، 2006م.

15 . البرمجية القيمية لمهنة الخدمة الاجتماعية، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

16 . البرمجية القيمية في طريقة تنظيم المجتمع، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

17 . البرمجية القيمية في طريقة خدمة الجماعة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

18. الموسوعة القيمية لبرمجية الخدمة الاجتماعية، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

19 . البرمجية القيمية في خدمة الفرد، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م.

20 . مفاهيم في استراتيجيات المعرفة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م.

21 . المقدمة في أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، بيروت . دمشق، 2009م.

22 . موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2009م.

23 . ألستم من آل البيت، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

24 . مختصر موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

25 . خطوات البحث العلمي (من تحديد المشكلة إلى تفسير النتيجة)، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

26 . قواعد المنهج وطرق البحث العلمي، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

27 . أسماء حُسنى غير الأسماء الحسنى، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

28 . آدم من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

29 . نوح من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

30 . إدريس وهود وصالح من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

31 . إبراهيم وإسحاق وإسماعيل ولوط من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

32 . شعيب من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

33 . يعقوب ويوسف من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

34 . داوود وسليمان من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

35 . يونس من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

36 . أيوب واليسع وذو الكفل وإلياس من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

37 . موسى من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

38 . عيسى من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

39 . محمَّد من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

40 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، آدم ونوح، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

41 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، ادريس ويعقوب ويوسف، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

42 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، أيوب وذو الكفل واليسع والياس، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

43 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، موسى وهارون وعيسى، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

44 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، يونس وزكريا ويحيى، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

45 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ولوط، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

46 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، هود وصالح وشعيب، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

47 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، داوود وسليمان، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

48 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، النبي محمَّد، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

49 . موسوعة صفات الأنبياء من قصص القرآن، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

50 . موسوعة الأنبياء من وحي القرآن، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

51 . التطرُّف من التهيّؤ إلى الحلّ، المجموعة الدولية للطباعة وانشر، القاهرة، 2011م.

52 . ألسنا أمةً وسطا، ابن كثير، دمشق . بيروت، 2011م.

53 . المنهج وطريقة تحليل المضمون، ابن كثير، دمشق . بيروت، 2011م.

54 . الإرهاب (بين قادحيه ومادحيه) المجموعة الدولية للطباعة وانشر، القاهرة، 2011م.

55 . الخوف وآفاق المستقبل، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2011م.

56 . سُنن التدافع، شركة الملتقى للطباعة وانشر للطباعة والنشر، بيروت: 2011م.

57 . خريف السُّلطان (الرَّحيل المتوقّع وغير المتوقّع) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

58 . من قيم القرآن الكريم (قيم إقداميّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

59 . من قيم القرآن الكريم (قيم تدبّرية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

60 . من قيم القرآن الكريم (قيم وثوقيّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

61 . من قيم القرآن الكريم (قيم تأييدية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

62 . من قيم القرآن الكريم (قيم مناصرة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

63 . من قيم القرآن الكريم (قيم استبصارية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

64 . من قيم القرآن الكريم (قيم تحفيزية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

65 . من قيم القرآن الكريم (قيم وعظية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

66 . من قيم القرآن الكريم (قيم شواهد) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

67 . من قيم القرآن (قيم مرجعيّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

68 . من قيم القرآن الكريم (قيم تسليمية) شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

69 . من قيم القرآن الكريم (قيم تسامح)، شركة الملتقي للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

70 . من قيم القرآن الكريم (قيم تيقُّنيّة)، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

71 . الرفض استشعار حرية، دار الملتقى، بيروت، 2011م.

72 . تقويض القيم (من التكميم إلى تفجّر الثورات)، شركة الملتقى، بيروت، 2011م.

73 . ربيع النّاس (من الإصلاح إلى الحلّ) المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2011م.

74 . موسوعة القيم من القرآن الكريم، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2012م

75 . أسرار وحقائق من زمن القذافي، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، ودار المختار طرابلس، 2013م.

76 . وماذا بعد القذافي؟ المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م.

77 . ثورات الرّبيع العربي (ماذا بعد؟) المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م.

78 . العزل السياسي بين حرمان وهيمنة، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

79 . السياسة بين خلاف واختلاف، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 3014.

80 . الهويّة الوطنية بين متوقّع وغير متوقّع، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014.

81 . العفو العام والمصالحة الوطنية، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

82 . فوضى الحلّ، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

83 . بسم الله بداية ونهاية، القاهرة، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، 2015.

84 . من معجزات الكون (خَلق . نشوء . ارتقاء)، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2016م.

85 . مبدئ التنمية البشرية تحت الطباعة.

86 . منابع الأمل تحت الطباعة.

87 . من الفِكَر إلى الفِكَر، تحت الطباعة.

المؤلّف في سطور

أ د. عقيل حسين عقيل

مواليد ليبيا 1953م

بكالوريوس آداب 1976م بدرجة الشّرف الأولى جامعة الفاتح (طرابلس).

ماجستير تربية وتنمية بشرية جامعة جورج واشنطن 1981م مع درجة الشّرف.

. دكتوراه في الخدمة الاجتماعية.

. أستاذ بجامعة الفاتح كلية الآداب (طرابلس).

. شغل منصب أمين تعليم بلدية طرابلس (1986 . 1990).

. انتخب مفتشا عامّا لقطاع الشؤون الاجتماعية، ثمّ كلّف بالتفتيش على وزارتي التعليم العام والتعليم العالي 2006م.

. شغل منصب أمين التعليم العالي (وزيرا) 2007 . 2009م.

. انتخب أمينا عاما للتنمية البشرية بأمانة مؤتمر الشّعب العام 2009م.

. صدر للمؤلّف 78 بحثا نشرت داخل ليبيا وخارجها.

. صدر له 88 مؤلّفا منها خمس موسوعات.

. أشرف وناقش 74 رسالة ماجستير ودكتوراه.

. مجالات اهتمام المؤلف البحثية:

1 . الخدمة الاجتماعية والتنمية البشرية.

2 . طرق البحث الاجتماعي.

3 . الفكر والسياسة.

4 . الإسلاميات.

5 . الأدب

تُرجمت ونشرت له مؤلّفات باللغة الإنجليزية والتركية